

وقال رحمه الله: والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويدفعه أو يخفضه إذا نزل وهو سلاح المؤمن وله مع البلاء ثلاث مقامات:

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفاً.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل منهما صاحبه.

أخي المسلم:

إن مما انتشر واستشرى أيضاً تعليق التماائم والحروز وقد أمر الرسول ﷺ بنزعها.

فعن عقبة بن عامر مرفوعاً: «من علّق تيممة فقد أشرك»^(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقي والتماائم والتولة شرك»^(٢).

فاحذر - أخي المسلم - أن تضع زوجك على يدها أو في رقبتها أو على صغيرها مثل هذه التماائم التي لا تجوز، واجعل قلبك معلقاً بالنافع الضار وهو الله عز وجل.

ومما شاع في هذه الأزمنة قراءة الفنجان والكف وادعاء معرفة المستقبل وهو غيب لا يعلمه إلا الله عز وجل ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ ومن ادّعى علم الغيب كفر. وقد حذرنا الرسول ﷺ بقوله: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»^(٣).

(١) رواه أحمد (١٥٦/٤) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع (٦٣٩٤).

(٢) رواه أحمد (٣٨١/١) وأبو داود (٣٨٨٣) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع (١٦٣٢).

(٣) رواه أحمد (٤٢٩/٢) والحاكم (٨/١) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع (٥٩٣٩).

فاحرص - أيها الأخ المبارك - على تحصين نفسك من السحرة والشياطين بقراءة القرآن وذكر الله تعالى، وقراءة الأوراد الواردة في الصباح والمساء عليك وعلى أهل بيتك فقد كان ﷺ يُعوّذ الحسن والحسين رضي الله عنهما. واحرص على تحقيق التوحيد والبعد عما يقدر فيه تكن من السعداء.

اللهم اجعلنا ممن حقق التوحيد قولاً وعملاً وجنبنا الشرك والكفر واحفظنا وذرياتنا وجميع المسلمين. اللهم إنا نسألك أن نعيش على التوحيد سعداء، وأن نموت على التوحيد شهداء، اللهم اغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الخامس عشر:

الخدم والأجراء

الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة فهدانا للإسلام وأتم علينا هذا الدين، وأرسل علينا السماء، وأخرج لنا من كنوز الأرض، فله الحمد والشكر. وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الله عز وجل قسم الأرزاق بعلمه، فأعطى من شاء بحكمته، ومنع من شاء بعدله، وجعل الناس لبعض سخرى، قال الله تعالى: ﴿لَنَحْنُ قَسَمًا لِّبَنِيهِمْ مَّعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٢٢).

وابتلى الله عز وجل من شاء بوافر النعم لينظر أيشكرون أم يكفرون، ومنع من شاء بعدله ليصبروا ولا يتسخطوا.

ولقد وسع الله أرزاق العباد في هذه الأيام وأغدق عليهم من نعمه العظيمة، فقبل سنوات لا تتجاوز الثمانين عاماً كانت هذه البلاد بلاد جوع وخوف وأمراض وأوبئة، فأبدل الله حالها من فقر إلى غنى، ومن خوف إلى أمن، ومن أمراض إلى صحة وعافية!! ولو ذكر لأجدادنا أنه ستأتي سنوات يقدم إلينا فيها من يكنس شوارعنا وينظف منازلنا ويحمل مخلفاتنا لما صدق العقل ذلك! ولكن الله عز وجل، وله الحكمة البالغة، ساق لنا الخيرات وجعل هذا البلد وافر الرزق ومحط الآمال. فندعو الله عز وجل أن يكون ذلك عوناً على طاعته وأن لا يكون استدراجاً، فإن فتنة الغنى أشد من فتنة الفقر وأعظم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والفقر يصلح عليه خلق كثير والغنى لا يصلح عليه إلا أقل منهم، ولهذا كان أكثر من يدخل الجنة المساكين، لأن فتنة الفقر أهون، وكلاهما يحتاج إلى الصبر والشكر، لكن لما كان في السراء اللذة وفي الضراء الألم اشتهر ذكر الشكر في السراء والصبر في الضراء.

وقد وردت آيات كثيرة نصّت على الترف والمترفين وسوء ذلك على نفوس الكثير، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْحَرُونَ﴾ (٦٤). وقال تعالى عن أصحاب الشمال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ (٤٥). وقال جل وعلا: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (١٦). وقال تعالى في آية أخرى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٣٥).

وقد يجعل الله عز وجل هذه النعم والخيرات استدراجاً لمن عصاه وخالف أمره، كما سمعنا ذلك عن أمم سابقة، ورأينا ذلك في أمم ودول معاصرة، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١١٧).

وزوال النعمة وتحولها سببه المعاصي والذنوب، وعدم الشكر والحمد لصاحب الإحسان والفضل جل وعلا. ومما نراه من كفر النعمة: منع الحقوق عن أهلها، وتأخير مستحقاتهم. . فلا يخلو رجل أو امرأة من أهل هذه البلاد إلا وتحت أيديهم من الأجراء والخدم ما ابتلاه الله بهم. ومع كثرة الخيرات، تراهم يماطلون في إعطاء المساكين والأجراء حقوقهم وهي دراهمات قليلة. فمنهم من يؤخر الراتب شهوراً عديدة، ناهيك عن تحميلهم مالا يطيقون وإرهاقهم بالعمل طوال اليوم! فلا يرتاحون ولا يُعانون.

فيا أخى المسلم: أترضى أن يتأخر راتبك الشهري خمسة أيام أو ستة؟! إذا كان لا يرضيك هذا، فكيف ترضى لمسكين أو مسكينة تأخير رواتبهم شهوراً، وهم ما أتوا لهذه البلاد إلا لكي يُطعموا مَنْ تحت أيديهم في بلادهم الفقيرة.. فلهم طفل وشيخ وابن وابنة! بل إن بعض أقاربهم لربما يموت بسبب المرض نظراً لتأخر وصول مبلغ شراء الدواء!

فليخف الله المماطلون وليتقوا عذابه، وليعلموا أن دعوة المظلوم لا ترد حتى وإن كانت من كافر. عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»^(١).

وقال ﷺ: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء، فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»^(٢).

وعليك بحديث الرسول ﷺ: «أعط الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»^(٣).

ولا تأخذ من أموالهم شيئاً وادفع إليهم ما كان في عقودهم من راتب إجازة أو غيره، وتأمل في حال رجل خرج يقاتل مع رسول الله ﷺ فيقتل ولكن أين مكانه وقد أخذ أمراً يسيراً من الغنائم!

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم خيبر فلم نغنم ذهباً ولا فضة إلا الأموال والثياب والمتاع، فأهدى رجل من بني الضبيب يقال له: رفاعه بن زيد لرسول الله ﷺ غلاماً يقال له: مدعم،

(١) رواه مسلم: (٢٥٧٨).

(٢) رواه البخاري: (٢٤٤٩).

(٣) رواه ابن ماجه: (٢٤٤٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٥٥).

فوجهه الرسول ﷺ إلى وادي القرى حتى إذا كان بوادي القرى، بينما مدّعم يحط رحلاً لرسول الله ﷺ إذا سهم عائرٌ فقتله، فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «كلا والذي نفسي بيده، إن الشملة^(١) التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً» فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين إلى النبي ﷺ فقال: «شراك من نار، أو شراكان من نار»^(٢).

وتجنب - أخي المسلم - أن تكلفهم ما لا يطيقون خاصة في هذا الشهر المبارك وامثل لأمر الرسول ﷺ حيث قال: «ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»^(٣).

واحذر - أخي المسلم - من مخالفة أمر الرسول ﷺ حيث قال: «لا يجتمع في جزيرة العرب دينان»^(٤). وقال عليه الصلاة والسلام: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»^(٥).

وقد عدّ العلماء من موالاته الكفار استقدامهم. فلا تكن هذه النعمة التي بين يديك وبالأخصاراً عليك.

أخي الصائم:

احذر المظالم ولا تقع فيها من تأخير رواتب، وأخذ حقوق، فإن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب.

(١) الشملة: كل ما اشتمل به من الكساء.

(٢) رواه البخاري: (٤٢٣٤) ومسلم (١١٥).

(٣) رواه البخاري: (٣٠) ومسلم (١٦٦١).

(٤) رواه أحمد: (٢٧٥/٦) عن عائشة، ومالك في الموطأ (٨٩٢/٢) عن ابن شهاب مرسلاً.

(٥) رواه البخاري (٣١٦٨) ومسلم (١٦٣٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرج مسلم (١٧٦٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب، حتى لا أدع إلا مسلماً».

والسعادة كلها في إعطاء أهل الحقوق حقوقهم، والتخلص منها قبل يوم القيامة، وقبل أن يمحق الله بركة هذا المال الذي في يدك. ولا تغترّ بكثرة المال فإن العبرة ببركته لا بكثرته. . وتأمل حال من مُحِقت بركة أموالهم كيف ينفقونها ذات اليمن وذات الشمال في علاج أمراض وإصلاح بيوت وهلاك أبناء وتعاسة زوجة! ثم التفت لذلك الرجل الورع التقى النقي كيف يهنأ بما لديه من مال وإن قلَّ. . فأبناؤه بررة، وزوجته صالحة، ولربما أن البركة أدركت السيارة والمنزل، فأعطالها قليلة ونفقاتها يسيرة، وهذا ملاحظ مشاهد.

وإني أدعوك في هذا الشهر المبارك للتصدق على أجرائك وخدمك زيادة على مستحقاتهم ففيهم أجر وصدقة، وهم لها مستحقون وإلا لما تغربوا عن أبنائهم وأطفالهم إلى هذه الأرض، ثم لتبرأ ذمتك من زلل أو خطأ أو قسوة وتقصير!

يقول عنهم رسول الله ﷺ: «نعم، هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا يكلفه من العمل ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه»^(١).

وقال ﷺ: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يُعْطِهِ أجره»^(٢).

أخِي المسلم:

أحمد الله عز وجل على ما أنت فيه من نعم، وتيقن أنها أتت إليك رزقاً من الله عز وجل لا أثر فيها للذكاء والفهم، ولا للجد والتعب، فكم من ذكي

(١) رواه البخاري: (٣٠) ومسلم (١٦٦١).

(٢) رواه البخاري: (٢٢٧٠).

أخفق، وكم ممن يكد ويكدح وهو مديون، ولا تكن ممن كفر وقال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ ﴿١﴾ بل هذا مال الله عز وجل ورزقه الذي ساقه إليك في بلدك، ولم تتغرب كما تغرب غيرك، فاحمد الله عز وجل على نعمته.

ولا يكن هؤلاء الأجراء طريقاً لك إلى النار يوردونك الموارد، إما بتكشُّف الخادمة أمامك أو أمام أبنائك أو الجيران أو غيرهم، بل سارع إلى سترها وحشمتها، ولا تدعها تخرج للشارع أو غيره إلا باللباس الشرعي، فإنها أمانة عندك، والله مسترعيك وسائلك عنها.

ثم احذر إن كان لديك سائق أن يخلو بنسائك ومحارمك أو أطفالك، فإن في ذلك خطراً عظيماً وشرّاً مستطيراً، ونسمع حوادث تشيب لها الولدان، وثق بأهلك ومحارمك، ولكن لا تثق بسائق أجنبي عنهم، وبعضهم لا يُستأمن على قطع غنم، فكيف تستأمنه على شرفك وعرضك؟! وكيف يضع نسائك أمام عينك! يقول الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام: «إياكم والدخول على النساء» فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت»^(١). فإذا كان الأخ في النسب صاحب الشهامة والغيرة يحذر النبي ﷺ من دخوله على بيت أخيه، فما بالك بإنسان أجنبي ليس فيه غيرة ولا رابطة نسب!

رزقنا الله عز وجل الرزق الحلال وبارك لنا فيه وجعله عوناً على طاعته. اللهم أعنا على شكرك قولاً وفعلاً، ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهراً، اللهم اجعل ما أنعمت به علينا عوناً على طاعتك، ومقرباً إلى جنتك، واغفر لنا ولوالدينا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) رواه البخاري (٥٢٣٢) ومسلم (٢١٧٢) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

الدرس السادس عشر:

الزكاة

الحمد لله الذي أعطى فأغنى وأقنى، يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع،
والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فنحمد الله عز وجل على نعمة الإسلام والقيام بشرائعه وفرائضه، وفي
هذه الأيام المباركة ونحن نؤدي الركن الرابع من أركان الإسلام نتحدث عن
الركن الذي قبله والذي يأتي بعد فريضة الصلاة ألا وهو أداء الزكاة، وقد
قرنها الله عز وجل مع الصلاة في كتابه الكريم حتى أنها تصل إلى ثمانية
وعشرين موضعاً، قال الله عز وجل: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ
الرَّكْعِينَ﴾ (٤٣)، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ
فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾.

والأحاديث في وجوب أداء الزكاة كثيرة منها قول الرسول ﷺ: «بني
الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام
الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»^(١). وقال أبو بكر رضي
الله عنه: «والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق
المال...»^(٢).

وقد اتفق الصحابة رضي الله عنهم على قتال مانعي الزكاة، وأجمع
المسلمون على وجوبها في جميع الأعصار.

(١) رواه البخاري (٨) ومسلم (١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (١٤٠٠) كتاب الزكاة: باب وجوب الزكاة.

والزكاة عبادة مالية يثاب المرء على إخراجها، ويعاقب على تركها، وفيها تثبتت أواصر المودة بين المسلمين، وتطهير للنفوس وتركيتها من البخل والشح قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾.

وفي إخراج الزكاة استجلاب البركة والزيادة والخلف من الله كما قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عز وجل: «يا ابن آدم أنفق أنفق عليك»^(١).

وقد جاء الوعيد الشديد في حق من بخل بها، أو قصر في إخراجها، قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾^(٢) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾^(٣)، فكل مال لا تؤدي زكاته فهو كنز يعذب به صاحبه يوم القيامة، كما دلَّ على ذلك الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة، لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة، وإما إلى النار»^(٤).

ثم ذكر النبي ﷺ صاحب الإبل والبقر والغنم الذي لا يؤدي زكاتها وأخبر أنه يعذب بها يوم القيامة.

وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته مثُل له شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني

(١) رواه البخاري (٥٣٥٢) ومسلم (٩٩٣).

(٢) رواه مسلم (٩٨٧) كتاب الزكاة: إثم مانع الزكاة.

شذقيه - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك»، ثم تلا النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَهَّرُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾^(١).

والزكاة تجب في أربعة أصناف: الخارج من الأرض من الحبوب والثمار، والسائمة من بهيمة الأنعام، والذهب والفضة، وعروض التجارة. ولكل من هذه الأصناف الأربع نصاب محدود لا تجب الزكاة فيما دونه.

ونصاب الذهب عشرون مثقالاً، ومقداره من الجنيهات السعودية أحد عشر جنيهاً وثلاثة أسباع الجنيه، وبالغرام اثنان وتسعون غراماً. والواجب فيهما ربع العشر على من ملك نصاباً منهما أو من أحدهما وحال عليه الحول. والريح تابع للأصل فلا يحتاج إلى حول جديد، كما أن نتاج السائمة تابع لأصله فلا يحتاج إلى حول جديد إذا كان أصله نصاباً.

وفي حكم الذهب والفضة الأوراق النقدية التي يتعامل بها الناس اليوم سواء سميت درهماً أو ديناراً أو دولاراً أو غير ذلك من الأسماء إذا بلغت قيمتها نصاب الفضة أو الذهب وحال عليها الحول وجبت فيها الزكاة.

ويلتحق بالنقود حلي النساء من الذهب أو الفضة خاصة إذا بلغت النصاب وحال عليها الحول فإن فيها الزكاة، وإن كانت معدة للاستعمال أو العارية في أصح قولي العلماء، لعموم قول النبي ﷺ: «ما من صاحب ذهب أو فضة لا يؤدي منها زكاتها إلا إذا كان يوم القيامة، صُفِّحت له صفائح من نار». إلى آخر الحديث المتقدم.

ولما ثبت عن النبي ﷺ أنه رأى أي بيد امرأة سوارين من ذهب فقال:

(١) أخرجه البخاري (١٤٠٣) كتاب الزكاة: باب إثم مانع الزكاة.

«أعطين زكاة هذا؟». قالت لا، قال: «أيسرك أن يُسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟». فألقتهما، وقالت: هما لله ولرسوله^(١).

وثبت عن أم سلمة رضي الله عنها أنها كانت تلبس أوضاحاً من ذهب فقالت يا رسول الله: أكنز هو؟ فقال ﷺ: «ما بلغ أن تؤدي زكاته فزكِّي فليس بكنز»^(٢) مع أحاديث أخرى في هذا المعنى.

أما العروض وهي السلع المعدة للبيع فإنها تقوّم في آخر العام ويخرج ربع عشر قيمتها سواء كانت قيمتها مثل ثمنها أو أكثر أو أقل، لحديث سمرة قال: «كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي نعهده للبيع»^(٣). ويدخل في ذلك الأراضي المعدة للبيع والعمارات والسيارات والمكائن الرافعة للماء وغير ذلك من أصناف السلع المعدة للبيع.

أما العمارات المعدة للإيجار لا للبيع، فالزكاة في أجورها إذا حال عليها الحول، أما ذاتها فليس فيها زكاة لكونها لم تعد للبيع، وهكذا السيارات الخصوصية والأجرة ليس فيها زكاة إذا كانت لم تعد للبيع وإنما اشتراها صاحبها للاستعمال.

والصحيح من أقوال العلماء أن الدّين لا يمنع الزكاة لما تقدم. وهكذا أموال اليتامى والمجانين تجب فيها الزكاة عند جمهور العلماء إذا بلغت النصاب وحال عليها الحول، ويجب على أوليائهم إخراجها بالنية عنهم عند تمام الحول، لعموم الأدلة، مثل قول النبي ﷺ في حديث معاذ لما بعثه إلى أهل اليمن: «إن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم»^(٤).

(١) أخرجه أبو داود (١٥٦٣) والنسائي (٣٨/٥) بسند حسن.

(٢) رواه أبوداود: (١٥٦٤).

(٣) رواه أبوداود: (١٥٦٢).

(٤) أخرجه البخاري (١٣٩٥) ومسلم (١٩).

والزكاة حق الله لا تجوز المحاباة بها لمن لا يستحقها ولا أن يجلب الإنسان بها لنفسه نفعاً أو يدفع ضرراً، ولا أن يقي بها ماله أو يدفع بها عنه مذمة. بل يجب على المسلم صرف زكاته لمستحقيها لكونهم من أهلها لا لغرض آخر مع طيب النفس بها والإخلاص لله في ذلك حتى تبرأ ذمته ويستحق جزيل المثوبة والخلف.

وقد أوضح الله - سبحانه - في كتابه الكريم أصناف أهل الزكاة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُؤُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

ومن فوائد إخراج الزكاة: أنها قيام بركن من أركان الإسلام، وأنها تُقرب العبد إلى ربه وتزيد في إيمانه، ومن فوائدها ما وعد الله به عز وجل من الأجر العظيم، وأنه عز وجل يمحو بها الخطايا كما قال ﷺ: «والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفىء الماء النار».^(١) وفي إخراج الزكاة تطهير لأخلاق باذله من البخل والشح واتصافه بالرحمة والشفقة. وفي إخراج الزكاة نماء للأموال وتكثيرها كما وعد الله عز وجل بذلك. وفيها من الفوائد كثير جداً لصلاح حال الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة.^(٢)

فبادر - أخي المسلم - إلى إخراج الزكاة طيبة بها نفسك، واحمد الله عز وجل أن جعلك ممن يخرج الزكاة ولا يأخذها.

(١) رواه أحمد في المسند (٢٣١/٥) والترمذي (٢٧٤٩) - تحفة وقال: «حسن صحيح» وصححه الألباني كما في صحيح الترغيب (٨٥٨)، وصحيح الجامع (٥١٣٦).

(٢) من كتاب: رسالتان موجزتان في الزكاة والصيام للشيخ ابن باز - رحمه الله - والشيخ محمد بن عثيمين - حفظه الله .

اللهم أعتق رقابنا من النار، وطهر قلوبنا، وأذهب شح نفوسنا، اللهم
تقبل صيامنا، وزكاتنا، وسائر أعمالنا، واغفر لنا وارحمنا ووالدينا وجميع
المسلمين.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السابع عشر:

أحداث عظيمة في رمضان

الحمد لله مُعز من أطاعه ومذل من عصاه، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين، وقائد الغر المحجلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الجهاد ذروة سنام الإسلام، ومن أفضل الأعمال وأجل القربات، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَجَرَّةٍ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تَحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ (١٣)﴾.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: «الإيمان بالله، والجهاد في سبيله» (١).

وعن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لغدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها» (٢).

والآيات والأحاديث في فضل الجهاد والحث عليه كثيرة معلومة ولهذا

(١) أخرجه البخاري (٢٥١٨) ومسلم (٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٩٦) ومسلم (١٨٨٠).

الأجر تسابق الصحابة لرفع راية الإسلام في أنحاء المعمورة، وكانت لهم مواقف عظيمة في هذا الشهر المبارك، منها: معركة بدر، وفتح مكة، وعين جالوت، وغيرها.

وفي معركة بدر الكبرى نصر الله قلة قليلة في العدد والعدة على عدوهم الكافر ﴿فَعَثَّةٌ تَقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ وكان نصراً مؤزراً ارتفعت فيه راية الحق وأذل الله الشرك. وقد صبح النبي ﷺ ذلك اليوم بدعاء حار وذل وخضوع لله عز وجل حتى سقط رداؤه عن منكبه وهو يقول: «اللهم نصرك الذي وعدتني، اللهم نصرك الذي وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعد اليوم في الأرض»^(١).

والمعركة الثانية التي وقعت في شهر رمضان هي فتح مكة، وكانت دخول مكة نصراً مؤزراً وفتحاً عظيماً، حيث دخل رسول الله ﷺ في السنة الثامنة وأزال الأوثان وحطم الأصنام وهو مطأطئ الرأس تواضعاً وحمداً لله عز وجل حتى إن جبهته تكاد تمس رحله وهو يقرأ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ وفي هذا العام وما بعده أتت الوفود من أنحاء الجزيرة مبايعة على الإسلام.

أخي المسلم:

لقد تكفل الله عز وجل بنصر المؤمنين فقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾.

ولهذا النصر والتمكين شروط مهمة وصفات أساسية ذكرها الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ

(١) رواه البخاري (٣٩٥٣).

الْمُنْكَرِ وَاللَّهِ عَقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ومع اكتمال هذه المقومات المعنوية لا بد من الأخذ بالقوة الحسية من عدة وعتاد وتخطيط وتدريب يقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾.

فلنحرص على تحقيق هذه الأمور ليتمكن الله لنا ولتدوم نعمته علينا ولنحرص على إقامة الصلاة مع الجماعة في وقتها، وإيتاء الزكاة المفروضة عن طيب نفس، ولنحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لا يعننا الله بعذاب من عنده.

وليكن الإخلاص لله عز وجل هو رائدنا ودليلنا، ولندع حظوظ النفس وشهواتها، ولننكر الذات فكل أمر للإسلام تهون له الروح
كل عيش قد أراه نكداً

غير ركن الرمح في ظل الفرس
وقيام في ليال دجـ

حارساً للناس في أقصى الحرس
ولنستشعر فضل الجهاد وأجر القائم فيه، ومن لم يتيسر له ذلك فليكن له نصيب من حديث الرسول ﷺ: «من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»^(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب الشهادة صادقاً أعطيها ولو لم تُصبه»^(٢).

ولنحذر جميعاً من أن نموت على شعبة من النفاق، كما قال عليه

(١) رواه مسلم: (١٩٠٩).

(٢) رواه مسلم: (١٩٠٨).

الصلاة والسلام: «من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بغزو، مات على شعبة من نفاق»^(١).

أخي المسلم:

من نعم الله عز وجل أن الجهاد باب واسع يدخل تحته أعمال كثيرة: فهو بالنفس وبالمال، وباللسان أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر، أو تعليمًا لجاهل وتنبهًا لغافل قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾.

وفي جميع آيات الجهاد تقدم المال على النفس عداية واحدة وذلك لأهمية المال وعظم أمره.

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»^(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «من أنفق نفقة في سبيل الله كُتبت له سبعمائة ضعف»^(٣).

فاحرص - أخي المسلم - على نصره دين الله عز وجل بالنفس والمال، وباللسان والسنان، وبالفكرة والرأي، وارم بسهم في سبيل الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والجهاد، منه ما يكون باليد ومنه ما هو بالقلب والحجة والدعوة واللسان والرأي والتدبير والصناعة، فيجب بغاية ما

(١) رواه مسلم: (١٩١٠).

(٢) رواه أبوداود (٥٠٤) وأحمد (١٢٤/٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٩٠).

(٣) رواه الترمذي (١٦٧٥) تحفة - وقال: «حديث حسن». وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١١٠).

يمكنه، ويجب على القعدة أن يخلفوا الغزاة في أهليهم ومالهم .
اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من
النار وما قرب إليها من قول وعمل، اللهم إنا نسألك عيش السعداء وموت
الشهداء . . اللهم أحينا على الإسلام وأميتنا على الإسلام، واغفر لنا ولوالدينا
ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا وعلى آله وصحبه أجمعين .

الدرس الثامن عشر:

العمرة والاعتكاف

الحمد لله الذي فتح لنا أبواب الطاعات، ويسرها لنا، ودلنا عليها، وأصلي وأسلم على خير خلقه، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الله عز وجل جعل لنا من الأعمال الفاضلة والطاعات المتتالية ما تقر به الأنفس، وتنهأ به الصدور، ويتسابق فيه المتسابقون، طمعاً في رضوان الله ورحمته، ورجاء جنته وخوف عقابه. ومن الأعمال التي يسرها الله عز وجل لأهل هذه الديار أداء العمرة في هذا الشهر المبارك، ورتب لمن قام بها فضلاً عظيماً لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»^(١).

وفي رمضان يتضاعف هذا الفضل العظيم والأجر الجزيل فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما رجع من حجة الوداع قال لامرأة من الأنصار اسمها أم سنان: «ما منعك أن تحجي معنا؟» قالت: أبوفلان - زوجها - له ناضحان، حج على أحدهما، والآخر نسقي عليه. فقال لها النبي ﷺ: «إذا جاء رمضان، فاعتمري، فإن عمرة فيه تعدل حجة» أو قال: «حجة معي»^(٢).

ومع تيسر السبل وسهولة الوصول تسابق الناس - والله الحمد - لأداء

(١) أخرجه البخاري (فتح - ١٧٧٣) ومسلم (١٣٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (فتح - ١٧٨٢) ومسلم (١٢٥٦).

العمرة في هذا الشهر المبارك. ولكن هناك وقفات مهمة لا بد أن تراعى خاصة أن البعض يبحث عن الأجر ولا يُثاب عليه، بل يؤزر ويأثم. ومن تلك الأمور:

١ - أن البعض يسافر للعمرة بنساء ليس معهن محارم لهن، وهذا مما عمت به البلوى في هذا الزمن، ولكن الأصل الحرمة في ذلك، قال ﷺ: «لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم» فقال رجل: يا رسول الله إني أريد أن أخرج في جيش كذا وكذا، وامرأتي تريد الحج! فقال: «أخرج معها»^(١).

وهذا الرجل أمره الرسول ﷺ أن يترك الجيش ويرجع ليذهب مع امرأته، ودرء المفسد مقدّم على جلب المصالح، والله عز وجل يعلم نية المرأة ورغبتها في العمرة وإنما منعها طاعة الله عز وجل ورسوله ﷺ.

٢ - أن بعض المعتمرين يهملون رعيتهن التي استرعاهن الله إياهم بتركهن هنا والبعد عنهن مدة طويلة؛ فيضيع الأولاد وتختل تربيتهم، وتهمل المرأة وتفقد زوجها. . . والبيت يحتاج إلى راع فيه يأمر بالمعروف ويوقظ أهل البيت للصلاة، وينهى عن المنكر فيه ويسوسه ويرعاه.

والنوع الثاني في الإهمال والتفريط: من يذهب بأهل بيته جميعاً معه من زوجة وبنات وأبناء، ثم يتركهم في مكة المكرمة لا ضابط لدخولهم وخروجهم، فتحدث مفسد عظيمة لا يعلمها إلا الله عز وجل في هذه البقعة المباركة التي قال الله تعالى عنها: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَافِظِ بَطْلٌ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾^(٢).

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

(١) أخرجه البخاري (١٨٦٢) ومسلم (١٣٤١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

«أبغض الناس إلى الله ثلاثة» وذكر منه: «مُلْحِدٌ في الحرم»^(١).
وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «لو أن رجلاً همّ فيه بإلحاد
وهو بعدن أئين، لأذاقه الله عذاباً أليماً»^(٢).

وغالب من يسافر إلى هناك يرى من تصرفات المراهقين والمراهقات
والنساء عموماً، ما يندى له الجبين ويتزف له القلب، بسبب الإهمال
وعدم وجود الرقيب، وكفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول. فلا تكن أيها
الأب بإقامتك واعتكافك في الحرم آثماً، وترجع وأنت تحمل أوزار مَنْ
تعولهم.. والأولى والأحسن والأتم في ذلك كله: أن يذهب الأب وأهل
بيته سواء لأداء العمرة ثم يعودون إلى ديارهم بعد انتهائها مباشرة،
فيكون الأب قد جمع الحُسنيين من عمرة له ولأهل بيته، وتعويدهم على
فعل الطاعات، وأهم من ذلك محافظته على فلذات كبده.

أخي المسلم:

الأمر الثاني من صالح الأعمال والقربات: الاعتكاف: وهو لزوم
المسجد بنية مخصوصة، لطاعة الله تعالى وهو مشروع مستحب باتفاق أهل
العلم. وقد حافظ ﷺ على الاعتكاف في العشر الأواخر كما في
الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يعتكف
العشر الأواخر من رمضان، حتى توفاه الله عز وجل، ثم اعتكف أزواجه
من بعده»^(٣).

والاعتكاف فرصة عظيمة لتربية النفس، وجهاد الهوى، والبعد عن

(١) رواه البخاري (٦٨٨٢).

(٢) أخرجه أحمد (٤٢٨/١)، وابن أبي حاتم في تفسيره، وقال الحافظ ابن كثير: «هذا الإسناد صحيح على شرط البخاري ووقفه أشبه من رفعه..» (تفسير ابن كثير ٣/٢١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٢٦) ومسلم (١١٧١)(٥).

الشواغل والصوارف، وكثرة المطاعم والمآكل، والتفرغ لقراءة القرآن، والذكر وقيام الليل.

واحذر - أيها المعتكف - أن يكون حولك بعض الفارغين فتضيع ساعات يومك وليلتك في حديث جانبي وأمور تافهة. بل احرص - أخي المسلم - على إحياء هذه السنة العظيمة، وإحياء قلبك بدوام الطاعة، وفرّغ من شهور السنة كاملة أياماً معدودة للتزود والتفكر. جعلنا وإياكم ممن يتقبل الله طاعاتهم ويتجاوز عن تقصيرهم وزلاتهم، وغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، واغفر لنا وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء. اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس التاسع عشر:

العشر الأواخر وليلة القدر

الحمد لله الذي جعل شهر رمضان سيد الشهور، ضاعف فيه الحسنات والأجور، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لقد أظلتنا أيام عظيمة وساعات قليلة، إنها أيام العشر الأواخر من رمضان، وهي بداية نهاية الشهر العظيم، ولها مزية على باقي أيام الشهر. ومن مزاياها وخصائصها:

أولاً: اجتهاد النبي ﷺ فيها فوق ما كان يجتهد في غيرها من أيام الشهر، كما روت عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره»^(١)

ثانياً: كان ﷺ يحيي الليل فيها كما قالت عائشة أم المؤمنين: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجدّ، وشدّ المتزر»^(٢) ومن مبالغته عليه الصلاة والسلام في الاجتهاد أنه كان يشدّ متزره، يعني أنه يعتزل النساء اشتغالاً بالعبادة وتفرغاً لها.

فاحرص - أخي المسلم - على الاقتداء بنبيك عليه الصلاة والسلام، وتفرغ للعبادة، ولا تفوتك هذه الأيام والليالي القلائل، فإن فيها أجراً عظيماً. وتحراً ليلة القدر، واجتهد في الطاعة والعبادة، وتعرض لنفحات الرب الكريم الجواد المتفضل، وأكثر من الدعاء والتضرع.

(١) رواه مسلم: (١١٧٥).

(٢) رواه البخاري: (٢٠٢٤) ومسلم: (١١٧٤) واللفظ له.

أخي المسلم:

في حياة الأمم والشعوب أحداث خالدة وأيام مجيدة، تحمل في طياتها ما يفرح القلوب، ويبهج النفوس، ولقد شَرُفَتْ هذه الأمة بأعظم الأحداث وأكمل الأيام، وأتم الليالي.

ومما أنعم به الله عز وجل على هذه الأمة، ليلة وصفها الله عز وجل بأنها مباركة، لكثرة خيرها وبركتها وفضلها. ومن بركتها أن هذا القرآن الكريم أنزل فيها. ووصفها الله عز وجل بأنه يفرق فيها كل أمر حكيم، أي تقدر في تلك الليلة مقادير الخلائق على مدى العام، فيكتب فيها الأحياء والأموات، والناجون والهالكون، والسعداء والأشقياء، والحاج والداج، والعزير والذليل، والجذب والقحط، وكل ما أراده الله عز وجل في تلك السنة. قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ (٢) ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (٤) ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (٥) ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦). وقال تعالى عن هذه الليلة العظيم: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (١) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ (٢) ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (٣) ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ (٤) ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ (٥).

ولهذه الليلة فضائل ومزايا منها:

أولاً: أن الله أنزل فيها القرآن الذي به هداية البشر وسعادتهم في

الدارين.

ثانياً: تعظيم الله عز وجل لها بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ (٢)

وهذا استفهام تفخيم.

ثالثاً: أن هذه الليلة خير من ألف شهر، أي خير مما يزيد على ثلاث

وثمانين سنة.

رابعاً: تتنزل الملائكة فيها، والملائكة لا ينزلون إلا بالخير والبركة والرحمة.

خامساً: أنها سلامٌ لكثرة السلامة فيها من العقاب والعذاب، بما يقوم به العبد من طاعة الله عز وجل.

سادساً: أن الله أنزل في فضلها سورة كاملة تتلى إلى يوم القيامة. ومن فضائل ليلة القدر ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه». (١)

أخي المسلم:

هذه الليلة العظيمة المباركة يستحب تحريها في رمضان، وفي العشر الأواخر منه خاصة، وفي الأوتار منها بالذات، أي ليالي: إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين فقد ثبت في الصحيح من حديث عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: «التمسوها في العشر الأواخر في الوتر» (٢) وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى» (٣).

وليلة القدر في السبع الأواخر أرجى، ولذلك جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام، في السبع الأواخر فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع

(١) رواه البخاري: (٢٠١٤) ومسلم: (٧٦٠).

(٢) رواه البخاري: (٢٠١٧).

(٣) رواه البخاري: (٢٠٢١).

الأواخر، فمن كان متحريها فليتحجرها في السبع الأواخر»^(١).

وهي في ليلة سبع وعشرين أرجى ما تكون، فقد جاء من حديث أبي بن كعب عند أحمد ومن حديث معاوية عند أبي داود، أن النبي ﷺ قال: «ليلة القدر ليلة سبع وعشرين»^(٢).

ولا تختص ليلة القدر بليلة معينة في جميع الأعوام، قال في فتح الباري: «أرجح الأقوال أنها في وتر من العشر الأخير وأنها تنتقل».

وقد أخفى الله عز وجل علمها عن العباد رحمة بهم ليكثروا من العبادة والطاعة، طلباً لتلك الليلة، وأيام الوتر أيام قلائل مع أجر عظيم وثواب جزيل. فأكثر - أخي المسلم - فيها من الذكر، ومن الدعاء، خاصة الدعاء الذي علمه النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها حين قالت: يا رسول الله، أرأيت، إن علمت أي ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو، فاعف عني»^(٣).

وأكثر - أخي المسلم - من العبادة والخشوع والخضوع والبكاء والذلة لله عز وجل، واحرص على دقائقها، بل وثوانيتها. واحذر البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان في تلك الليالي، من دعاء جماعي، أو تخصيصها بنوع من أنواع العبادة لم يشرعه الله ولا رسوله، أو الاحتفال بها، وإلقاء الخطب والكلمات! بل افعل كما كان الرسول ﷺ وأصحابه يفعلون وعليك بالاعتداء بهم، واحذر من أن تحيد عن نهجهم وطريقهم فتضل!

اللهم اجعلنا لنا نصيباً من غفرانك ورحمتك، اللهم اغفر الخطيئة

(١) أخرجه البخاري (٢٠١٥) ومسلم (١١٦٥).

(٢) أخرجه مسلم: (٧٦٢) وأحمد (١٣٢/٥) عن أبي بن كعب رضي الله عنه موقوفاً، وأبو داود (١٣٨٦) عن معاوية رضي عنه مرفوعاً.

(٣) رواه الترمذي (٣٧٤٤- تحفة) وقال: «حديث حسن صحيح».

واعف عن الزلل، وثبتنا على دينك حتى نلقاك. اللهم بارك في أعمالنا وأوقاتنا وأعنا على طاعتك وعبادتك، اللهم أعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا من النار، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس العشرون:

قيام الليل

الحمد لله الذي جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين، ويسرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها، فلم يتخذوا سواها شغلاً، وسهل لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذللاً، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين الذي قام من الليل حتى تفتطرت قدماه، وبعد:

فإن هذا الشهر شهر الصيام والقيام، عبادة بالليل وعبادة بالنهار، امتثالاً لأمر الله عز وجل الذي قال لنبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام: ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ ① قُرَّ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلاً ② نِصْفُهُ ③ أَوْ أَنْقُصَ مِنْهُ قَلِيلاً ④ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ⑤﴾. وأثنى الله عز وجل على أهل الجنة بأنهم ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ⑥ وَيَا لَاسْتَحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ⑦﴾. وقال جل وعلا: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ⑧﴾. وقد وصف الله عز وجل قيام الليل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً ⑨﴾.

وفسر ابن كثير رحمه الله قوله تعالى: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً ⑩﴾ بأنه أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار، لأنه وقت انتشار الناس ولغظ الأصوات وأوقات المعاش.

أخي المسلم:

إن قيام الليل عبادة تصل القلب بالله، وتجعله قادراً على التغلب على مغريات الحياة وعلى مجاهدة النفس في وقت هدأت فيه الأصوات، ونامت العيون، وتقلب الثَّوَام على الفُرْش، لكن قُوَام الليل يهبون من فرشهم الوثيرة وسررهم المريحة، ويكابدون الليل والتعب، ولذا كان قيام الليل من مقاييس

العزيمة الصادقة، وسمات النفوس الكبيرة، الذين مدحهم الله عز وجل في آيات كثيرة.

وقيام الليل سنة مؤكدة حث عليه الرسول ﷺ بقوله: «... وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»^(١).

وصلاة الليل في رمضان لها فضيلة ومزية على غيرها لقول النبي ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٢).

وينبغي للمسلم الحرص على صلاة التراويح لينال ثوابها وأجرها ولا ينصرف حتى ينتهي الإمام منها ومن الوتر، ليحصل له أجر قيام الليل كله. ويجوز للنساء حضور التراويح في المساجد إذا أمنت الفتنة منهن وبهنّ لقول النبي ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»^(٣).

لكن يجب أن تأتي متسترة متحجبة، غير متبرجة ولا متطيبة، ولا رافعة صوتاً، ولا مبدية زينة.

ومع الفضل العظيم لمن صلى التراويح مع الإمام، إلا أن هناك من يضيعها ويفرط فيها، ولم يستشعر هول المطلع، يوم يصدر الناس أشتاتاً ليرو أعمالهم، ولم يتذكر ظلمة القبر ووحشته، فقيام الليل نور لظلمة القبر، مع ما أعد الله للقاء من الأجر والمثوبة وعفو الذنب والخطيئة.

وبعض الناس يسير في اليوم ساعات طوال، إما في شارع، أو سوق، أو رياضة، ويتكاسل عن أداء هذه الركعات القليلة.

وإليك أخي الكريم وقفات مهمة:

أولاً: السنّة في القيام الإطالة، فلا تتأفف ولا تتذمّر وجاهد نفسك فأنت

(١) رواه مسلم (١١٦٣).

(٢) رواه البخاري (٢٠٠٩) ومسلم (٧٥٩).

(٣) رواه البخاري (٩٠٠) ومسلم (٤٤٢) (١٣٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

في عبادة، واحذر من الحديث بعد الصلاة مع الجيران: إنها طويلة وقد تعبنا!!
ربما حبط عملك من هذا التأفف والتملل، ومن سمعك قال: هذا يقوم
الليل كله! وصلاة القيام الآن لا تتجاوز الساعة والنصف، والله المستعان!
وتأمل في أمور دنياك التي ربما تقف من أجلها في انتظار طويل ولا تتأفف!

ثانياً: لا يكن للشيطان نصيب في صلاتك، فيوردك موارد الرياء
والسمعة والحديث عن النفس وتركيتها. فإن الشيطان يقعدك عن العمل
ويثبطك عن القيام به، ثم إذا جاهدت نفسك وقمت به بدأ يركض عليك
بخيله ورجله حتى يفسد عليك عملك بالرياء والسمعة والإعجاب.

ثالثاً: لا تتكلف رفع الصوت عندما يدعو الإمام ولا تصرخ وتبكي
بصوت مرتفع، وقدوتنا جميعاً رسول الله ﷺ الذي إذا بكى سُمع له أزيز
الرجل فحسب^(١). فعليك بخير الهدى.

رابعاً: مسح الوجه باليدين بعد دعاء القنوت مخالف للسنة ولم يرد فيه نص.
خامساً: لا تكثر من الطعام قبل التراويح، حتى تؤذيها وأنت مرتاح البال
غير متخم بالطعام.

سادساً: لأبنائك عليك حق التربية وواجب الأمر، فأحضرهم ليشهدوا
صلاة الجماعة والقيام، واجعلهم بجوارك، وعودهم على الطاعة منذ الصغر.
سابعاً: احرص على التطيب والتزين عند ذهابك للمسجد امتثالاً لقول
الله تعالى: ﴿يَبْقَىٰ آدَمُ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

ثامناً: احفظ لسانك من الحديث عن الإمام، واحذر الحديث عنه وغيبته
والاستهزاء به، وإن كان لك وجهة نظر فاستشره فيها، وانصحه الله عز وجل،
فالدين النصيحة.

(١) رواه أحمد (٤/٢٥ و٢٦) وأبو داود (٩٠٤) والنسائي (٣/١٣) وصححه الألباني في مختصر الشرائع للترمذي (٢٧٦).

تاسعاً: فرغ نفسك هذا الشهر من كثرة لقاء الناس، وتفرغ لأمر آخرتك، ولا تكن بعد صلاة التراويح كالتي نقضت غزلها. . فبعد هذه العبادة من صيام وقيام تسهر على ما يغضب الله عز وجل من مشاهدة الحرام وسماع الغناء، وحديث الغيبة والنميمة، والاستهزاء وفحش الكلام، والقليل والقال، والنظر إلى النساء، وغيرها مما حرمه الله عز وجل.

وأوصي الأخت المسلمة بالستر والعفاف ولتعلم أن صلاتها في بيتها خير لها من الحضور إلى المسجد فعن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي رضي الله عنها: أنها جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني أحب الصلاة معك، قال: «قد علمت أنك تُحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خيرٌ لك من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خيرٌ من صلاتك في دارك وصلاتك في دارك خير لك من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجدي»^(١).

وقال عبد الله بن مسعود: ما تقربت امرأة إلى الله بأعظم من قعودها في بيتها.

وإن أتيت إلى المسجد فاحفظي دينك، وراعي صغارك حتى لا يصدر منهم ما يشوش على المصلين، واستفيدي من وجودك مع المصليات في الدعوة إلى الله، وتعلميهن ما خفي من أحكام الصلاة والطهارة فهي فرصة عظيمة. وعليك بالخروج مباشرة بعد نهاية الصلاة، حتى لا تختلط بالرجال، واحذري أن تأتي لأمر طاعة وتنقلبي إلى منزلك وأنت تحملين الآثام والأوزار.

اللهم تقبل صيامنا وقيامنا، اللهم وفقنا للطاعات وجنبنا المنكرات، اللهم أصلح أحوالنا وأحوال المسلمين، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الحادي والعشرون:

تربية الأولاد

الحمد لله المنعم المتفضل بجزيل العطايا والإحسان، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن نعم الله عز وجل لا تحصى، وعطاياه لا تُعد، ومن تلك النعم العظيمة وأجلها نعمة الأبناء، قال الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولا يعرف عظم هذه النعمة إلا من حُرِم منها، فتراه ينفق ماله ووقته في سبيل البحث عن علاج لما أصابه.

وهذه النعمة العظيمة هي أمانة ومسئولية، يُسأل عنها الوالدان يوم القيامة، أحفظ أم ضيعا؟ وزينة الذرية لا يكتمل بهاؤها وجمالها إلا بالدين وحسن الخلق، وإلا كانت وبالا على الوالدين في الدنيا والآخرة.

يقول الرسول ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته»^(١).

وهذه الرعية أمانة حذر الله عز وجل من إضاعتها، والتفريط في القيام بحقها، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾.

يقول ابن القيم رحمه الله: «فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى، فقد أساء غاية الإساءة؛ وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسُننه، فأضاعوهم

(١) أخرجه البخاري: (٢٤٠٩) ومسلم: (١٨٢٩).

صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً».

والى كل أب وأم ومربي، وقفات سريعة لعل الله أن ينفع بها:

أولاً: الأصل في تربية النشء إقامة عبودية الله عز وجل في قلوبهم، وغرسها في نفوسهم وتعاهدها، ومن آلاء الله علينا أن المولود يولد على دين الإسلام، دين الفطرة، فلا يحتاج إلا إلى رعايته، ومداومة العناية به، حتى لا ينحرف أو يضلّ.

الثاني: الأب والأم في عبادة الله عز وجل حين التربية والإنفاق والسهر والمتابعة والتعليم، بل وحتى إدخال السرور عليهم وممازحتهم إذا احتسبوا ذلك، فالأصل تعبد الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥١).

والنفقة عليهم عبادة كما قال عليه الصلاة والسلام: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك»^(١). وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحاسبها كانت له صدقة»^(٢).

الثالث: لا بد من الإخلاص لله عز وجل في أمر التربية، فإن أراد المربي الدنيا فقد ائتم إخلاصه، وترى البعض يحرص على تعليم أبنائه لكي يحوزوا المناصب والشهادات، ولا شك أن الخير في تعليمهم ابتغاء ثواب الله عز وجل وما عداه فهو تابع له، ولهذا يركز من يريد الدنيا على التعليم الدنيوي المجرد من خدمة الإسلام والمسلمين، والآخر الموفق

(١) رواه مسلم: (٩٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٥٥) ومسلم (١٠٠٢) من حديث أبي مسعود البصري رضي الله عنه.

يسعى لكسب شهادة في الطب مثلاً لمداوة المسلمين، ولكي نستغني عن الأطباء الكفار، فهذا له أجر وذاك ليس له أجر، والنية في هذا الأمر عظيمة، وهي من أسباب صلاح الأبناء وحسن تربيتهم، فما كان الله فهو ينمو ويكبر وما كان للدنيا فهو يقل ويضمحل. وبعض الآباء يبر والديه لكي يراه صغاره فيعاملونه إذا كبر وشاخ بمثل ذلك. وهذا فيه حب الدنيا وحظوظ النفس، ولكن المؤمن يخلص لله في بر والديه رغبة فيما عند الله عز وجل، وطاعة لأمره في بر الوالدين، لا للدنيا والمعاملة بالمثل.

رابعاً: عليك باستصحاب النية في جميع أمورك التربوية حتى تؤجر. الزم النية في النفقة عليهم، وفي مآزحتهم وملاعبتهم وإدخال السرور عليهم وعود نفسك على ذلك.

خامساً: الدعاء هو العبادة، وقد دعا الأنبياء والمرسلون لأبنائهم وزوجاتهم ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ وغيرها في القرآن كثير. وكم من دعوة اهتدى بسببها ضال، وكم من دعوة اختصرت مسافات التربية. وتحرّ أوقات الإجابة، وابتعد عن موانعها، وتضرع إلى الله عز وجل، وانكسر بين يديه أن يهدي ذريتك، وأن يجنبها الشيطان، فأنت ضعيف بجهدك قليل بعملك.

سادساً: عليك بالمال الحلال وتجنب الشُّبه، ولا تقع في الحرام، فإنه صح عن النبي ﷺ أنه قال لكعب بن عجرة: «يا كعب بن عجرة: إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت النار أولى به...»^(١) ولا يظن الأب

(١) رواه أحمد (٣/٣٢١ و٣٩٩) من حديث جابر رضي الله عنه وصححه الألباني - انظر: =

أو الأم أن الحرام في الربا والسرقة والرشوة فحسب، بل حتى في إضاعة وقت العمل وإدخال مال حرام دون مقابل.. فكثير من الموظفين والمدرسين يتهاونون في أعمالهم، ويتأخرون عن مواعيد عملهم بضع دقائق لو جمعت إذا بها ساعات تضيع في الحديث مع الزملاء وقراءة المجلات والجرائد والمكالمات الهاتفية، وهذه الأموال التي يأخذها مقابل هذه الأوقات سحت، لأنها أخذ مال بدون وجه حق. فاحذر - أخي المسلم - أن يدخل جوفك وجوف ذريتك مالاً حراماً. وتحجّر الحلال على قلته، فإن فيه بركة عظيمة.

سابعاً: القدوة الحسنة من ضروريات التربية، فكيف يحرص ابنك على الصلاة وهو يراك تضيعها؟ وكيف يبتعد عن الأغاني والمجون وهو يرى والدته ملازمة لسماعها! ثم في صلاحك حفظ لهم في حياتك وبعد مماتك. وتأمل في قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ﴾ ﴿فصلاح هذا الأب عمّ أبناءه بعد موته بسنوات. وليكن لك أجر غرس الإسلام في نفس طفلك، وحرصه على أداء شعائره فإن «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده..» الحديث^(١).

ثامناً: وجه بعضاً من حرصك على أمور الدنيا ومعرفتها وكشف دقائقها إلى معرفة أفضل السبل في أمر التربية، واستشر من ترى فيه الصلاح، وابحث عن الأشرطة والكتب التي تتحدث عن التربية

= «صحيح الترغيب والترهيب» (٨٥٦، ٨٥٧).

(١) رواه مسلم (١٠١٧).

الإسلامية للطفل المسلم . ولا يكن شراء سيارة أو جهاز كهربائي أهم من تربية ابنك ؛ فأنت تسأل عن السيارة والجهاز كل من تراه، ثم تهمل ابنك ولا تتلمس الطريق السوي لتربيته ! .

تاسعاً: الصبر . . غفل عنه البعض وهو من أهم عوامل نجاح التربية . فعليك به ، واصبر على صراخ الصغير ولا تغضب ، واصبر على مرضه واحتسب ، واصبر على توجيهه ولا تملّ ، واصبر على مسافات بعيدة لتذهب بابنك لمدرسة ناجحة ، وفيها المدرسون الأكفاء . واصبر على أن تنتظر ابنك ليخرج معك للصلاة ، واصبر على أن تجلس بعد العصر في المسجد ليحفظ معك ابنك القرآن . وأبشر فإنك في طريق جهاد ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ وأنت مأمور بالتربية ، وأما الهداية فهي من الله عز وجل ، فابذل السبب واصبر وسترى من الخير ما يسرك ويؤانس طريقك .

عاشراً: الصلاة ، الصلاة ، فهي الفريضة العظيمة والركيزة الثانية من فرائض الإسلام بعد الشهادتين ، فاحرص عليها ، وليشعر ابنك بأهميتها وعظم قدرها . وهي سيرة على من يسرها الله عليه ، والتزم الأدب النبوي في تربية الأطفال ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر»^(١) . ومن طبق هذا الحديث فإنه لا يرى مشقة ولا تعباً في أمر الصلاة ، فإن الصغير فيما بين السابعة والعاشرة من عمره يفرح بالخروج للمسجد ، وتأمل في هذه الفترة التي يتخللها أكثر من ٥٠٠٠ مرة تناديه للصلاة ويخرج فرحاً بذلك كعادة الصغار . هل يا ترى إذا بلغ العاشرة وقد صلى ٥٠٠٠ صلاة يتركها؟! .

(١) رواه أحمد (١٨٧/٢) وأبو داود (٤٩٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٦٨) .

ولا تكن - أيها الأب المبارك - مثل جهلة بعض الآباء، الذي يرحم ابنه من برد الشتاء، ولا يوقظه للصلاة، بل كن من العقلاء، وارحمه من نار جهنم والعياذ بالله، وأطع أمر الله ورسوله، واصبر على إيقاظه وتشجيعه وتحبيب الصلاة إليه، حتى تبرأ ذمتك يوم القيامة. وليهنك حفظ الله عز وجل لصغارك طوال يومهم فقد قال ﷺ: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله...»^(١). واستشعر أن صغيرك في ذمة الله طوال ذلك اليوم.

الحادي عشر: لا بد من مراعاة الملكات الخاصة والفوارق الفردية بين الأطفال، والعدل معهم في المعاملة، وبعض الآباء يهمل ملكات عظيمة لدى صغيره تضيع سدى. فتجد بعض الصغار يحفظ الأناشيد والدعايات وغيرها مما لا فائدة منه، ولا يحفظ كتاب الله عز وجل، ولا يُوجّه لذلك. ولو تأملت في حياة علماء الأمة لوجدت الكثير يملكون مثل إمكاناتهم وقوة حفظهم، ولكنهم وجهوا هذه الثروة إلى غير فائدة، فهذا عالم الأمة ومفتي الديار، وذاك يحفظ الشعر والقصص.

الثاني عشر: احرص على كتم الغضب والانفعال، وتعوّذ بالله من الشيطان إذا داهمك، ولقد جعل الإسلام للعقوبة حداً؛ فجعل ضرب الطفل لا يتجاوز العشر ضربات، وأن يكون عمر الصغير فوق العشر السنوات، وأن يضرب بمسواك أو عصا صغيرة، ويتجنب الوجه والعورة، واحرص على التسمية عليه حال الضرب، ولا تضرب وأنت غضبان هائج، وإن استبدلت الضرب بالتشجيع أو الحرمان فهو خير لك ولا بنك.

(١) رواه مسلم (٦٥٧) كتاب المساجد: باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة.

الثالث عشر: وقتك طويل ولديك ساعات كثيرة بعد نهاية عملك
فما نصيب أبنائك منها؟ فإن كنت مفرطاً في حقهم، فتدارك ما فات،
واجعل لهم النصيب الأكبر، وإن كنت ممن حفظ هذا الوقت، وجعله
لهم فهنيئاً لك، ولا تغفل أن يكون بيتك ومملكتك الصغيرة واحة إيمانية
تقرأ عليهم فيها من سيرة الرسول ﷺ، وتجعل فيها المسابقات الثقافية
والإسلامية والعلمية. واجعل لمن حفظ القرآن جوائز قيمة، واحرص
على تلمس سيرة الرسول وحسن تعامله وتواضعه وممازحته للصغار.
رزقنا الله وإياكم الذرية الصالحة، وأقر أعيننا بصلاحهم
وفلاحهم، وجمعنا وإياهم ووالدينا في جنات عدن، وصلى الله على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثاني والعشرون:

حق المرأة على زوجها

الحمد لله الذي خلق الذكر والأنثى، من نطفة إذا تمنى، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الله عز وجل خلق لنا في هذه الدنيا أزواجاً نسكن إليها، وجعل المودة والرحمة دوحة نستظل بها. ورغبة في تجديد ما تقادم من المعلومات وتذكير من غفل من الإخوان والأخوات، فإن الحقوق الزوجية عظيمة ويترتب عليها أمور مهمة، فقد قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝١٩﴾. وهذه المرأة - أخي المسلم - التي تحت يدك أمانة عندك، ومسؤول عنها يوم القيامة، هل أديت حقوقها أم فرطت وضيّعت؟!

ومن أهم حقوقها ما يلي:

أولاً: الوصية بالنساء خيراً امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وقول الرسول ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء»^(١). وعنه ﷺ أنه قال: «اللهم إني أخرج حق الضعيفين: اليتيم، والمرأة»^(٢).

ثانياً: إعطاؤها حقوقها وعدم بخسها، فعن معاوية بن حيدة رضي الله

(١) رواه البخاري (٥١٨٦) ومسلم (١٤٦٨) (٦٠).

(٢) رواه وأحمد (٤٣٩/٢) وابن ماجه (٣٦٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال النووي: «حديث حسن رواه النسائي بإسناد جيد» (رياض الصالحين/ ٢٧٠).

عنه قال: قلت يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يقبح ولا يهجر إلا في البيت»^(١). وبعض الناس يأخذ الكرم والسخاء مع الأصدقاء وينسى حق الزوجة، مع أن المرء يؤجر على إنفاقه في بيته كما روى ذلك أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «دينار أنفقت في سبيل الله، ودينار أنفقت في رقبة، ودينار أنفقت على أهلك أعظمها أجراً الذي أنفقت على أهلك»^(٢)، وآخرون اتخذوا ضرب زوجاتهم مهنة لهم فلا يرفع يده عنها، وعائشة رضي الله عنها تقول: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً...»^(٣). والرسول ﷺ هو القدوة والمثل. وآخرون اتخذوا الهجر عذراً وطريقاً لأي سبب حتى وإن كان تافهاً، وربما هجر المسكينة شهوراً لا يكلمها ولا يؤانسها، وقد تكون غريبة عن أهلها، أو شابة صغيرة يخشى على عقلها من الوحدة والوحشة.

ثالثاً: تعليمها العلم الشرعي وما تحتاج إليه من أمور العبادات وحثها على ذلك، يقول تعالى: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: «نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»^(٤). وعلى الزوج أن يتابع تعليمها القرآن الكريم والسنة المطهرة ويشجعها ويعينها على الطاعة والعبادة، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ قال ﷺ: «رحم الله

(١) رواه أحمد: (٤٤٦/٤) وأبو داود (٢١٤٢) وابن ماجه (١٨٥٠) وحسن الألباني إسناده (المشكاة - ٣٢٥٩).

(٢) رواه مسلم: (٩٩٥).

(٣) رواه مسلم: (٢٣٢٨).

(٤) رواه البخاري معلقاً في كتاب العلم، باب الحياء في العلم، ووصله مسلم في صحيحه (٣٣٢) كتاب الحيض (٦٠).

رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»^(١).

رابعاً: معاملتها المعاملة الحسنة والمحافظة على شعورها وتطيب خاطرها، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: إني أحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي لأن الله ذكره بقوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾. وقال جل وعلا: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾. ومن أهم الأمور التي انتشرت في أوساط بعض الأسر المسلمة من المخالفات في تلك المعاملة الحسنة التي أمرنا بها: بذاءة اللسان، وتقبيح المرأة خلقة أو خلقاً، أو التأفف من أهلها وذكر نقائصهم، وكذلك سب المرأة وشتمها ومناداتها بالأسماء والألقاب القبيحة. ومن ذلك إظهار النفور والاشمئزاز منها. ومن ذلك أيضاً تجريحها بذكر محاسن نساء آخر، وإنهن أجمل وأفضل، فإن ذلك يكدر خاطرها في أمر ليس لها فيه يد.

ومن المحافظة على شعورها وإكرامها مناداتها بأحب أسمائها إليها، وإلقاء السلام عليها حين دخول المنزل، والتودد إليها بالهدية والكلمة الطيبة، ومن حسن الخلق وطيب العشرة عدم تصيد أخطائها ومتابعة زلاتها، بل العفو والصفح والتغاضي خاصة في أمور تجتهد فيها وقد لا تُوفق. وتأمل في حديث الرسول ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم»^(٢).

خامساً: المحافظة عليها من الفساد ومن مواطن الشبه، وإظهار الغيرة

(١) رواه أحمد: (٢٥٠/٢) أبو داود (١٤٥٠) ووابن ماجه (١٣٣٦) والنسائي (١٦٠٩/٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٩٤).

(٢) رواه أحمد: (٤٧٢/٢) والترمذي (١٧٢) - تحفة) وقال: «حديث حسن صحيح».

عليها، وحثها على القرار في البيت، وإبعادها عن رفيقات السوء، والحرص على أن لا تذهب إلى الأسواق بكثرة وإن ذهبت فاذهب معها، وأن لا تدعها تسافر بدون محرم، واستشعر أن هذه أمانة عندك مسؤول عنها يوم القيامة «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»^(١) . .

سادساً: إعفافها وتلبية حاجاتها، فإن ذلك يحفظها، ويغنيها عن التطلع إلى غيرك، واحرص على إشباع حاجاتها العاطفية بالكلمة الطيبة والثناء الحميد، واقتطع من وقتك لها، واجعل لبيتك نصيباً من بشاشتك ودماثة خلقك، روى عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «يا عبد الله، ألم أخبر أنك تصوم النار وتقوم الليل؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله. قال: فلا تفعل، صُمْ وأفطر، وقُمْ ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً. .»^(٢). وفي الحديث عن النبي ﷺ: «وفي بُضْع أحدكم صدقة» قالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر»^(٣).

سابعاً: التأسي بخير الأزواج في مؤانسة الزوجة وحسن العشرة وإدخال السرور على قلبها، روى عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا: تأديبه فرسه ورميه بقوسه، وملاعبته أهله»^(٤). ومن أحق منك بحسن الخلق وطيب المعشر، ممن تخدمك وتطبخ

(١) رواه البخاري (٢٤٠٩) ومسلم (١٨٢٩).

(٢) رواه البخاري: (١٩٧٥) ومسلم (١١٥٩).

(٣) رواه مسلم: (١٠٠٦).

(٤) رواه أبوداود: (٢٥١٣) والترمذي: (١٦٨٨ - تحفة) وقال: «حديث حسن»، وأحمد

لك، وتنظف ثوبك، وتفرح بدخولك، وتربي أبنائك، وتقوم بشئونك طوال حياتك؟! ولنا في رسول الله أسوة حسنة، فقد كان عليه الصلاة والسلام يسابق عائشة إدخالاً للسرور على قلبها، ويناديها بيا عائشُ تقرباً إلى قلبها، وكان عليه الصلاة والسلام يؤانسها بالحديث ويروي لها بعض القصص، ويشاور زوجاته في بعض الأمور مثلما شاور أم سلمة في صلح الحديبية.

ثامناً: تحمل أذاها والصبر عليها، فإن طول الحياة وكثرة أمور الدنيا لا بد أن توجد على الشخص ما ينغص عليه من زوجه، كأى إنسان خلق الله فيه الضعف والقصور. وتحمل الأذى إلا أن يكون في أمر الآخرة من تأخير الصلاة أو ترك الصيام فهذا أمر لا يُحتمل، ولكن المراد ما يعترض طريق الزوج خاصة الأيام التي تكون فيها الزوجة مضطربة، وتمر بظرف شهري معروف، وقد كان نساء النبي ﷺ يراجعنه ويقع منهن تصرفات تستوجب الحلم والعفو.

تاسعاً: المحافظة على مالها وعدم التعرض له إلا بإذنها، فقد يكون لها مال من ورث أو عطية، أو راتب شهري تأخذه من عملها، فاحذر التعرض له لا تصريحاً ولا تلميحاً ولا وعداً ولا وعيداً إلا برضاها، قال الله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْئًا مَرِيكًا﴾ ﴿٤﴾ وقد كان رسول الله ﷺ أميناً على مال زوجته خديجة فلم يأخذ إلا حقه ولم يساومها ولم يظهر الغضب والحق حتى ترضيه بمالها! قال تعالى مُحذراً عن أخذ المهر الذي هو مظنة الطمع وهو من مال الزوج أصلاً: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ ﴿٥﴾ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذت منكم ميثاقاً غليظاً ﴿٦﴾ ﴿٢١﴾ فما بالك بأموال زوجتك التي تكد وتتعب لتجمعها. وأخذ المال منها ينافي قيامك بأمر القوامه ووجوب النفقة عليها

حتى وإن كانت أغنى منك، وليحذر الذين يتعدون على أموال زوجاتهم ببناء مسكن أو استثمار ثم يضع مالها باسمه ويبدأ يستقطعه، فإنه مال حرام وأخذ مال بدون وجه حق، إلا بإذن صاحبه.

عاشراً: من حقوق الزوجة التي عدّد زوجها، العدل بين الزوجات في البقاء والمكث مع كل زوجة والتسوية في المييب والنفقة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ وقال مال كثير من المحدثين، والرسول ﷺ يقول: «من كانت له امرأتان، فمال إلى إحدهما، جاء يوم القيامة وشقه مائل»^(١).

وكان رسول الله ﷺ إذا أراد السفر أقرع بين زوجاته فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، وكان عليه الصلاة والسلام يراعي العدل وهو في مرض موته حتى أذن له زوجاته فكان في بيت عائشة. وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه له امرأتان فإذا كان يوم هذه لم يشرب من بيت الأخرى الماء.

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً، اللهم أصلح زوجاتنا وذرياتنا، وبارك لنا في أموالنا وأولادنا، وتقبل منا واغفر لنا وارحمنا إنك أنت السميع العليم. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) رواه أحمد: (٢/٢٩٥) أبو داود (٢١٣٣) والنسائي في عشرة النساء (٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥١٥).

الدرس الثالث والعشرون:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمد لله المبدئ المعيد، الواحد القهار، ذي العزة والافتدار،
والصلاة على النبي الأمين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:
فإن من أهم المهمات وأفضل القربات التناصح والتوجيه إلى الخير
والتواصي بالحق والصبر عليه، والتحذير مما يخالفه ويغضب الله عز وجل
ويباعد من رحمته.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منزلته عظيمة، وقد عدّه بعض
العلماء الركن السادس من أركان الإسلام، وقدمه الله عز وجل على الإيمان
كما في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾. وقدمه الله عز وجل في سورة التوبة على إقامة
الصلاة وإيتاء الزكاة فقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٧١).

وفي هذا التقديم إيضاح لعظم شأن هذا الواجب، وبيان لأهميته في حياة
الأفراد والمجتمعات والشعوب، وبتحقيقه والقيام به تصلح الأمة ويكثر فيها
الخير ويضمحل الشر ويقل المنكر، وبإضاعته تكون العواقب الوخيمة،
والكوارث العظيمة، والشُرور الكثيرة، وتتفرق الأمة وتقسو القلوب أو
تموت، وتظهر الرذائل وتنتشر، ويظهر صوت الباطل، ويفشو المنكر.

ومن فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما يلي:
أولاً: أنه من مهام وأعمال الرسل عليهم السلام قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ

بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿١﴾ ،

ثانياً: أنه من صفات المؤمنين كما قال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُكْسِبُونَ الرَّاكِعُونَ السَّجِدُونَ الْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٧﴾﴾ . على عكس أهل الشر والفساد ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ .

ثالثاً: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصال الصالحين قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٧﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٨﴾﴾ .

رابعاً: من خيرية هذه الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ .

خامساً: التمكين في الأرض قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ .

سادساً: أنه من أسباب النصر قال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ .

سابعاً: عظم فضل القيام به كما قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٩﴾﴾ . وقوله ﷺ: «من دعا إلى هدى

كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»^(١).
ثامناً: أنه من أسباب تكفير الذنوب، كما قال عليه الصلاة والسلام:
«فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره، تكفرها الصيام والصلاة،
والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»^(٢).

تاسعاً: في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حفظ للضرورات
الخمس: في الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال. وفي الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر من الفضائل غير ما ذكرنا. وإذا ترك الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر وعطلت رايته، ظهر الفساد في البر والبحر، وترتب على تركه أمور
عظيمة منها:

أولاً: وقوع الهلاك والعذاب قال الله عز وجل: ﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا
تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾.

وعن حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف
ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا
يستجيب لكم»^(٣).

ولما قالت أم المؤمنين زينب رضي الله عنها: «أنهلك وفينا الصالحون؟»
قال لها الرسول ﷺ: «نعم إذا كثُرُ الخَبْثُ»^(٤).
ثانياً: عدم إجابة الدعاء، وقد وردت أحاديث في ذلك، منها حديث

(١) رواه مسلم: (٢٦٧٤).

(٢) متفق عليه وقد سبق تخريجه في ص ١٧.

(٣) رواه أحمد (٣٨٨/٥) والترمذي (٢٢٥٩ - تحفة) وقال: «حديث حسن»، والحديث حسنه الألباني في

صحيح الجامع (٧٠٧٠).

(٤) رواه البخاري: (٧٠٥٩).

عائشة رضي الله عنها مرفوعاً «مروا بالمعروف، وانهاوا عن المنكر، قبل أن تدعوا فلا يُستجاب لكم»^(١).

ثالثاً: انتفاء خيرية الأمة، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾
فخيرية الأمة منوطة بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
رابعاً: تسلط الفساد والفجار والكفار وتزيين المعاصي وشيوع المنكر واستمراؤه.

خامساً: ظهور الجهل، واندثار العلم، وتخبط الأمة في ظلمة حالكة لا فجر لها. ويكفي عذاب الله عز وجل لمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتسلط الأعداء والمنافقين عليه وضعف شوكته وقلة هيئته.

أخي المسلم:

قال العلامة الشيخ حمد بن عتيق - رحمه الله -: فلو قُدِّرَ أن رجلاً يصوم النهار ويقوم الليل ويزهد في الدنيا كلها، وهو مع هذا لا يغضب الله، ولا يتمعر وجهه، ولا يحمر، فلا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر، فهذا الرجل من أبغض الناس عند الله، وأقلهم ديناً، وأصحاب الكبائر أحسن عند الله منه.

خطوات الإنكار والأمر:

أولاً: التعريف، فإن الجاهل يقوم على الشيء لا يظنه منكراً، فيجب إيضاحه له، ويؤمر بالمعروف ويبين له عظم أجره وجزيل ثواب من قام به، ويكون ذلك بحسن أدب ولين ورفق.

ثانياً: الوعظ، وذلك بالتخويف من عذاب الله عز وجل وعقابه وذكر آثار الذنوب والمعاصي. ويكون ذلك بشفقة ورحمة له.

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٠٤) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه.

ثالثاً: الرفع إلى أهل الحسبة إذا ظهر عناده وإصراره .

رابعاً: التكرار وعدم اليأس فإن الأنبياء والمرسلين أمروا بالمعروف وأعظمه التوحيد، وحذروا من المنكر وأعظمه الشرك، سنوات طويلة دون كلل أو ملل .

خامساً: إهداء الكتاب والشريط النافع .

سادساً: لمن كان له ولاية على زوجة وأبناء ونحوهم، فله الهجر والزجر والضرب .

سابعاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستوجب من الشخص الرفق والحلم، وسعة الصدر والصبر، وعدم الانتصار للنفس، ورحمة الناس، والإشفاف عليهم، وكل ذلك مدعاة إلى الحرص وبذل النفس .

أخي المسلم:

درجات تغيير المنكر ذكرها الرسول ﷺ بقوله: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه -: ومن لم يكن في قلبه بغض ما يبغضه الله ورسوله من المنكر الذي حرّمه من الكفر والفسوق والعصيان، لم يكن في قلبه الإيمان الذي أوجبه الله عليه، فإن لم يكن مبغضاً لشيء من المحرمات أصلاً لم يكن معه إيمان أصلاً .

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: فالله الله إخواني تمسكوا بأصل دينكم، أوله وآخره، أسّهُ ورأسه، وهو «شهادة أن لا إله إلا الله» واعرفوا معناه وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين،

واكفروا بالطواغيت، وعادوهم وابغضوا من أحبهم، أو جادل عنهم، أو لم يكفرهم، أو قال ما عليّ منهم، أو قال: ما كلفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله وافترى، بل كلفه الله بهم وفرض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانه أو أولاده.

أخي المسلم:

شاع في بعض أوساط الناس الغفلة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واعتبروا ذلك تدخلاً في شئون الغير، وهذا من قلة الفهم ونقص الإيمان، فعن أبي بكر رضي الله عنه قال: يا أيها الناس، إنكم لتقرؤون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه»^(١).

وتأمل في سفينة المجتمع كما صورها الرسول ﷺ بقول: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعاً»^(٢).

ومع الأسف الشديد ظهرت في بعض المجتمعات ظاهرة خطيرة وهي الاستهزاء بالأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ولزهم وغمزهم، والله عز وجل قد توعّد الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بعباد أليم. وننبه الأحبة الكرام إلى خطورة الأمر، قال في حاشية ابن عابدين: إن

(١) رواه أبوداود: (٤٣٣٨) والترمذي (٢٢٥٧- تحفة) وابن ماجه (٤٠٠٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٧٣).

(٢) رواه البخاري (٢٤٩٣) كتاب الشركة: باب هل يقرع في القسمة؟.

من قال : «فضولي» لمن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر فهو مرتد .
وفي «الدر المختار» قال في فصل الفضولي : هو من يشتغل بما لا يعنيه ،
فالقائل لمن يأمر بالمعروف : أنت فضولي ، يُحشى عليه الكفر .
اللهم اجعلنا من الآمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر ، المقيمين
لحدودك ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك
أنت الوهاب ، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ، ولجميع المسلمين ، وصلى الله على
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الدرس الرابع والعشرون:

التوبة

الحمد لله غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن من أعظم نعم الله عز وجل أن فتح باب التوبة وجعله فجراً تبدأ معه رحلة العودة بقلوب منكسرة، ودموع منسكبة، وجباه خاضعة.

يقول الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّخِذُوا الذَّنْبَ إِذْنًا مُّذْمُوهُ وَتُبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ يَسْخَرُ مِنْكُمْ إِذْ تَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْهُ فَاتَّخِذُوا ذُنُوبَكُمْ حِطَّةً وَلِتَبْتَغُوا مِنْ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ (٤٩).
ويقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٢٢٢).
ويقول تعالى حاثاً على التوبة والرجوع والأوبة: ﴿وَتَوَّابُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ يَسْخَرُ مِنْكُمْ إِذْ تَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْهُ فَاتَّخِذُوا ذُنُوبَكُمْ حِطَّةً وَلِتَبْتَغُوا مِنْ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ (٢٢٢).

وصح عنه ﷺ كما روى ذلك الإمام مسلم أنه قال: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» (١).

وهذا نبي الرحمة وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يقول: «يا أيها الناس، توبوا إلى الله فإنني أتوب في اليوم إليه مائة مرة» (٢).

وانظر وتأمل أخي المسلم في فضل الله عز وجل على التائب العائد، فقد قال رسول الله ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» (٣).

(١) رواه مسلم: (٢٧٥٩).

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٢).

(٣) رواه ابن ماجه (٤٢٥٠) والبيهقي (١٥٤/١٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٠٨).

أخي المسلم:

إن رمضان فرصة عظيمة للتوبة لمن صدق مع الله عز وجل ، ولا تكن أيها المفرط ممن رغم أنفه وخسر هذه الفرصة العظيمة ، فعنه ﷺ أنه قال : «رغم أنف من أدركه رمضان فلم يغفر له»^(١).

ولا يأخذك الهوى وملهيات النفس فإن الرسول ﷺ يقول : «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا : يا رسول الله ! ومن يأبى ؟ قال : «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»^(٢).

وهذا الحديث بشارة لجميع المسلمين بالجنة ، إلا صنفاً منهم لا يريدون دخولها ، لا زهداً فيها ، ولكن جهلاً بالطريق الموصلة إليها ، وتراخياً وتكاسلاً عن دخولها ، وتفضيلاً لهذه المتع الدنيوية الزائلة على تلك النعم الخالدة في الجنة .

أخي المسلم:

جدّ في التوبة وسارع إليها فليس للعبد مستراح إلا تحت شجرة طوبى ، ولا للمحب قرار إلا يوم المزيد ، فسارع إلى التوبة ، وهُبْ من الغفلة ، واعلم أن خير أيامك يوم العودة إلى الله عز وجل ، فاصدق في ذلك السير ، وليهنك حديث الرسول ﷺ «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها ، وقد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح»^(٣).

(١) رواه الترمذي : (٣٧٧٧ - تحفة) والحاكم (٥٤٩/١) وصححه الألباني في صحيح الجامع

(٣٥١٠) والمشكاة (٩٢٧).

(٢) رواه البخاري (٧٢٨٠).

(٣) رواه مسلم (٢٧٤٧).

أخي الصائم: قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه: من أعظم الاغترار عندي: التماذي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله عز وجل مع الإفراط. ومن أحب الجنة انقطع عن الشهوات، ومن خاف النار انصرف عن السيئات.

وقال الحسن البصري: إن قوماً ألهتهم أمانى المغفرة، حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة، يقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي - وكذب - لو أحسن الظن لأحسن العمل.

وقال رحمه الله: إن المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله عز وجل، وإنما خفَّ الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة، إن المؤمن يَفْجُوهُ الشيء يعجبه فيقول: والله إني لأشتهيك، وإنك لمن حاجتي ولكن والله ما من صلة إليك، هيهات، هيهات، حيل بيني وبينك، ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ما أردت إلى هذا، مالي ولهذا! والله لا أعود لهذا أبداً إن شاء الله، إن المؤمنين قومٌ أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئاً حتى يلقي الله عز وجل، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه.

أخي المسلم:

إن جهاد النفس: جهاد طويل، وطريق مخوف بالمكارة، مذاقه مر وملمسه خشن، فعليك بالسير في ركاب التائبين حتى تحط رحالك في جنات عدن. قال حاتم الأصم: من خلا قلبه من ذكر أربعة أخطار فهو مغتر لا يأمن الشقاء.

الأول: خطر يوم الميثاق حين قال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي، فلا يعلم في أي الفريقين كان.

الثاني: حين خُلق في ظلمات ثلاث، فنادى الملك: بالشقاوة والسعادة، ولا يدري أمن الأشقياء هو أم من السعداء.

الثالث: ذكر هول المطالع، فلا يدري أي بشر برضا الله أم بسخطه.

الرابع: يوم يصدر الناس أشتاتاً، فلا يدري أي الطريقين يُسلك به.

وقال الحسن: ابن آدم.. إنك تموت وحدك وتدخل القبر وحدك، وتُبعث وحدك، وتحاسب وحدك.. فينبغي لكل ذي لب وفطنة أن يجذر عواقب المعاصي، فإنه ليس بين الآدمي وبين الله تعالى قرابة ولا رحم، وإنما هو قائم بالقسط، حاكم بالعدل، وإن كان حلمه يسع الذنوب، إلا أنه إذا شاء عفا، فعفا كل كثيف من الذنوب، وإن شاء أخذ وأخذ باليسير، فالحذر الحذر..

أخبري المسلم:

كلنا أصحاب ذنوب وخطايا وليس منا من هو معصوم عن الزلل والخطأ، ولكن خيرنا من يسارع إلى التوبة ويبادر إلى العودة: تحته الخطي، وتسرع به الدمعة، ويعينه أهل الخير رفقاء الدنيا والآخرة، فإن من واجب الأخوة في الله عدم ترك العاصي يستمر في معصيته بل يحاط بإخوانه، ويذكر وينبه، ولا يهمل ويترك فيضل ويشقى. أرأيت إن نزل به مرض أو شأن من أمور الدنيا كيف تقف معه وتعينه؟! فالآخرة أولى وأبقى.

ولو تفقّد كل مسلم أخاه وقريبه وجاره، لصلحت الحال واستقامت الأمور، خاصة في هذا الشهر العظيم الذي صفت فيه القلوب واطمأنت فيه النفوس، وسارع المسلمون إلى فعل الخيرات وترك المنكرات، فإنها فرصة عظيمة لنصح المذنب، وتنبيه الغافل، وتعليم الجاهل. والحال كما ذكرها ابن

القيم بقوله: رأيت الخلق كلهم في صف محاربة، والشياطين يرمونهم بنبل الهوى، ويضربونهم بأسيايف اللذة، فأما المخلطون فصرعى من أول وقت اللقاء، وأما المتقون - جعلنا الله منهم - ففي جهد جهيد من المجاهدة، فلا بد مع طول الوقوف في المحاربة من جراح، منهم يجرحون ويدأون، إلا أنهم من القتل محفوظون، بل إن الجراحة في الوجه شينٌ باقٍ، فليحذر ذلك المجاهدون.

أخي الصائم:

بادر إلى التوبة ودع عنك لعل وسوف، ولا يغرك طول الأمل فإن الموت يأتي فجأة! والموت يطلبك في كل لحظة!

مضى أمسك الأدنى شهيداً معدلاً

ويومك هذا بالفعال شهيداً

فإن تك بالأمس اقترفت إساءة

فثن بإحسان وأنت حميد

ولا ترجُ فعل الخير منك إلى غدٍ

لعل غداً يأتي وأنت فقيد

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الذي يضر صاحبه هو ما لم يحصل منه

توبة، فأما ما حصل منه توبة فقد يكون صاحبه بعد التوبة أفضل منه قبل الخطيئة.

ولا تظن أيها المسلم الصائم أن التوبة في ترك المنكرات والمعاصي

فحسب، بل احرص على التوبة من ترك النوافل والمداومة على الخير، فتب عن

تفريطك في السنن الراوتب، وتب عن إضاعتك للتراويح والقيام، وتب من

بخلك وشحك، وتب إلى الله من غفلتك وإضاعة وقتك الثمين.

واعلم أن المؤمن إذا فعل سيئة فإن عقوبتها تندفع بعشرة أسباب:

الأول: أن يتوب توبة نصوحاً ليتوب الله عليه، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

الثاني: أن يستغفر الله، فيغفر الله تعالى له.

الثالث: أن يعمل حسنات تمحوها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

الرابع: أن يدعو له إخوانه المؤمنون، ويشفعون له حياً وميتاً.

الخامس: أن يهدي له إخوانه المؤمنون من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله

به.

السادس: أن يشفع فيه نبينا محمد ﷺ.

السابع: أن يبتليه الله في الدنيا بمصائب، في نفسه وماله وأولاده وأقاربه ومن يحب ونحو ذلك.

الثامن: أن يبتليه في البرزخ بالفتنة والضغطة، وهي عصر القبر، فيكفر بها عنه.

التاسع: أن يبتليه الله في عَرَصات القيامة من أهوالها بما يكفر عنه.

العاشر: أن يرحمه أرحم الراحمين.

فمن أخطأته هذه العشرة، فلا يلومن إلا نفسه، كما قال تعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»^(١).

وشروط التوبة أربعة:

١ - الإقلاع عن الذنب.

(١) رواه مسلم: (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.

٢ - الندم على ما فات .

٣ - العزم على أن لا يعود .

٤ - إرجاع الحقوق إلى أهلها من مال أو غيره .

وحالنا في هذه الدنيا بين مُسوّف ومُفِرط ، حتى يفجأنا الموت علي حين غفلة ، وتأمل في حال البعض ممن يؤثر الظل على الشمس ، ثم لا يؤثر الجنة على النار .

جعلني الله وإياكم ممن إذا زل ثاب وثاب ، ورزقنا توبة نصوحاً قبل الموت ، وتقبل منا صيامنا وقيامنا ، وتجاوز عن تقصيرنا وآثامنا ، وغفر لنا ولوالدينا ولإخواننا ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الدرس الخامس والعشرون:

النفاق

الحمد لله الذي نصر عباده المؤمنين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد تميز عصرنا الحاضر بارتفاع أصوات المنافقين والمنافقات في أنحاء العالم الإسلامي، فأفردت لهم الصفحات، ودُعوا إلى التحدث في المنتديات، واحتفلت بهم التجمعات، وسيطروا على كثير من وسائل الإعلام كما يلاحظه القاصي والداني لفشو الأمر وظهوره.

وحال المنافقين ليس بجديد على أمة الإسلام.. فهم أعداء ألداء لهذا الدين منذ بعثة محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. يكيدون ويدبرون ويخططون وينفذون، وقد وصفهم الله عز وجل في سبعة وثلاثين موضعاً من القرآن، وسميت سورة كاملة باسم (المنافقون)، وأفاضت السنة النبوية المطهرة في ذلك الأمر العظيم وتوضيحه وجلالته.

ولأن الصراع بين الحق والباطل قائم إلى قيام الساعة، لا نزال نرى نفس الصفات تتوارثها الأجيال المنافة زمناً بعد زمن حتى وقتنا الحاضر، يقول الله عن صفة من صفاتهم ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ ۚ﴾. فما أكثر المستمعين لحديثهم، المنصتين لهرائهم، المتابعين لإنتاجهم.. وهم يُلبَّسون على الناس ويدعون الإصلاح والفلاح، كما كان فرعون يقول عن موسى نبي الله عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ ۚ﴾.

والعجب أن يتولى ما لا يزيد عن أصابع اليد الواحدة من المنافقين

والمنافقات، إفساد الأمة ومسحها عن دينها ودعوتها إلى التحرر والإباحية والعفن والرذيلة. ومن تأمل في التاريخ القريب مثلاً في دولة مجاورة، لوجد أن حثالة لا يزيدون عن المائة قوَّضوا أركان الفضيلة ونزعوا الحجاب عن وجه المسلمة هناك، وأوردوا قومهم موارد الهلاك بإسقاط الحجاب والحياء والحشمة، حتى ظهرت المرأة متبرجة في الشارع والمكتب والمسرح، بل وشبه عارية على شاطئ البحر، ولقد كان لا يُرى لأمرها وجدتها أظفراً أو خصلة شعر، حتى جاء هؤلاء فأسقطوا الحجاب شيئاً فشيئاً!!

وهكذا هم المنافقون في كل أمة وفي كل قطر يتحينون الفرص ويقطعون الطريق ﴿الْمُتَفَقُّونَ وَالْمُتَفَقِّتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾!! هاهم يسيرون متكاتفين متماسكين يتواصلون بالباطل ولهم جلدٌ وصبر عجيب ﴿وَأَنطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾.

وتأمل في حال المنافقين والمنافقات فهم أولياء بعض وقد ملؤوا الساحة ضجيجاً وعفناً في الصحف، وعلى شاشة التلفاز، وفي بث الإذاعات، إنه غزو عجيب لا تسلم منه خيمة ولا قصر، ولا امرأة ولا رجل، ولا طفل ولا شيخ، وتتقزز نفسك وأنت ترى تلك الكتابات والصور التي يطل عليك منها شؤم المعصية وهي كغشاء السيل، وحاطب الليل يتبرأ منهم وهو خيرٌ منهم!! وحتى يكتمل الحديث وتتضح الصورة أورد بعضاً من صفات المنافقين حتى يكون المسلم على بينة من أمره، ولا يسلك مسلكاً خطيراً، وطريقاً وعرأً، وهو تصنيف الناس بالظن والحدس والتوقع.. بل أمامه ركائز يعتمد عليها ومناثر يسير على هداها، وليعرف المنافق برأسه وعينه مثبِتاً متيقناً.. هم العدو فاحذرهم. ومن صفاتهم:

الأولى: الكسل في العبادة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾.

الثانية: قلة ذكرهم لله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

الثالثة: لمز المطوعين من المؤمنين والصالحين والنيل منهم.

الرابعة: الاستهزاء بالقرآن والسنة يقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ قَسْطَهِزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَعْنَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بِعَدِّ إِيمَانِكُمْ.

الخامسة: الوقوع في أعراض الصالحين غيبة وحقداً، يقول الله تعالى عنهم: ﴿سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ﴾.

السادسة: التخلف عن صلاة الجماعة، قال ابن مسعود: «وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق» (١).

السابعة: مخالفة الظاهر للباطن. وهذه المسألة تدور عليها جميع المسائل، يقول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (١) فما أكثر ترديدهم عن صلاح هذا الدين وشريعته والحرص على هذا المجتمع، وما إن ترى أفعالهم حتى تتمثل لك الآية تفضح خبيثة نفوسهم وبواطن قلوبهم.

الثامنة: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، يقول الله تعالى: ﴿يَا مُرُوتَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ وتأمل آراءهم في الحجاب والتحرر والعمل وغيرها!!

التاسعة: عدم الفقه في الدين، فتجد الكثير يملك معلومات عجيبة وتفصيلات دقيقة وجزيئات صغيرة في أمور الدنيا، دقيقها وجليلها، كبيرها

(١) رواه مسلم: (٦٥٤)(٢٥٧) كتاب المساجد: باب صلاة الجماعة من سنن الهدى.

وصغيرها، ولكن إذا سُئِلَ عن المسح على الخفين سكت!! يقول الله عنهم: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٧).

وهذه تسع من ثلاثين أو تزيد من صفاتهم، ولكن حسبك من العقد ما أحاط بالعنق.. وبواحدة من هذه تعرف من يبارز الحرب والعداء لله ولرسوله.. ولعظم الأمر وخطورته ولأنهم بؤرة فساد وموطن سوء جعلهم الله في الدرك الأسفل من النار، وهم أشد عذاباً من الكفار والمشركون ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ (١٤٩)!! وقد قال بعض السلف: لو كان للمنافقين أذنان لما استطعنا السير في الشوارع والطرق من كثرتها!! وفي أمة الإسلام اليوم أكثر من ذلك، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وأعذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، اللهم أرنا في المنافقين عجائب قدرتك، اللهم فافضحهم شر فضيحة، اللهم لا ترفع لهم راية، واجعلهم لمن خلفهم آية. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السادس والعشرون:

فضل الصدقة

الحمد لله الكريم المتفضل بالعطايا والإحسان، عمت نعمته كل حي، ووسعت رحمته كل شيء، والصلاة والسلام على أجود الناس وأبرهم، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد فتح الله عز وجل علينا أبواب جوده وكرمه، فدرّ الضرع، وكثر الزرع، وأخرجت الأرض كنوزها، ففاضت الأموال بأيدي الناس، وأصبحوا في رغد من العيش، وبحبوبة من الرزق.

وهذه الأموال والخيرات التي بأيدينا هي عطية من الله عز وجل لينظر من أين نُجمع، وأين نوضع، وفيم تنفق؟!

ولقد وصف الله عز وجل عباده المتقين بعدة صفات منها أن في أموالهم حقاً للسائل والمحروم فقال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَحَارِهِمْ فِي سَعْيِهِم مَّا كَسَبُوا وَكَانُوا بِأَمْوَالِهِمْ آلِفِينَ ﴿١٨﴾﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾.

وقد وعد الله عز وجل وهو الجواد الكريم الذي لا يخلف الميعاد بالخلف لمن أنفق فقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾.

وأجزل العطية للمنفقين بأعظم مما أنفقوا أضعافاً كثيرة في الدنيا والآخرة فقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضعَافًا كَثِيرَةً﴾ والآيات في الحث على الإنفاق كثيرة جداً، وهي من أبواب الخير العظيمة، وبذل الأموال في الإسلام يُعدُّ جهاداً في سبيل الله، بل إن الجهاد بالمال مقدم على الجهاد بالنفس في جميع الآيات التي ورد ذكر الجهاد فيها عدا آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا يُقِنُّ لَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا
فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴿١﴾.

قال العلماء: والصدقة من أفضل القربات وهي أفضل من الجهاد،
لا سيما إذا كان زمن مجاعة على المحاويج، خصوصاً صاحب العائلة،
خصوصاً القرابة، ومن الحج لأنه متعدد، والحج قاصر.

ففي الصدقة: تفريج كربة، وإغناء عن سؤال، وإشباع جائع، وفرحة
لصغير، وإعفاف لأسرة، وسرور يدخل على قلب شيخ كبير، وتتجلى في
الصدقة أسمى صور التكاتف والتعاون بين المسلمين.

وفي الصدقة من أحاديث المصطفى ﷺ ما تقرُّ به النفوس، وتنهأ به
الصدر، ويستحث بها المسلم الخُطى إلى جنة عرضها السموات والأرض في
طريق آمنة مطمئنة. فعنه ﷺ أنه قال: «اتقوا النار ولو بشق تمر»^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «الصوم جُنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما
يطفئ الماء النار»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله
في ظله يوم لا ظل إلا ظله» وذكر منهم: «رجلاً تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا
تعلم شماله ما تُنفق يمينه»^(٣).

وقد ضرب رسول الله ﷺ المثل الأعلى في الإنفاق حتى أتته النفوس
طائعة والقلوب مُليية. قال أنس رضي الله عنه: «ما سئل رسول الله ﷺ على
الإسلام شيئاً إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل، فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع

(١) رواه البخاري (١٤١٣) ومسلم (١٠١٦) (٦٧).

(٢) سبق تحريجه في ص (١١٣).

(٣) رواه البخاري (١٤٢٣) ومسلم (١٠٣١).

إلى قومه فقال: يا قوم! أسلموا، فإن محمداً يُعطي عطاء لا يخشى الفاقة. (١).

وللممسكين والمقترين نذكرهم بحديث الصادق الذي لا ينطق عن الهوى حيث قال: «ما نقصت صدقة من مال» (٢).

وعنه عليه السلام أنه قال: «قال الله تعالى: أنفق يا ابن آدم يُنفق الله عليك» (٣).

ولقد رسم لنا الصحابة في صدر الإسلام الأول صوراً ناصعة من صور التنافس على الخير، والمسابقة إلى الخيرات، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نتصدق، ووافق ذلك ما لا عندي فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً. قال: فجئت بنصف مالي، قال، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً (٤).

وهذا أبوطلحة رضي الله عنه، وكان أكثر أنصاري المدينة مالاً، وكان أحب ماله إليه بيرحاء، وهي بستان طيبة الماء، وكانت مستقبله المسجد، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قال أبوطلحة: يا رسول الله، إن الله يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون، اللهم إن أحب أموالي إلي بيرحاء وإنها صدقة لله، أرجو برها، وأدخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما

(١) رواه مسلم: (٢٣١٢).

(٢) رواه مسلم: (٢٥٨٨).

(٣) متفق عليه: سبق تخريجه في ص (١١٠).

(٤) سبق تخريجه في ص (٧٣).

قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، قال: فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. ^(١) واليوم البعض لا ينفق، وإذا أنفق فهو من رديء ماله ومطعمه وملبسه!!

قال ابن القيم رحمه الله: وقد دل النقل والعقل والفطرة وتجارب الأمم - على اختلاف أجناسها ومللها ونحلها - على أن التقرب إلى الله رب العالمين وطلب مرضاته والبر والإحسان إلى خلقه من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر، فما استجلبت نعم الله تعالى واستدفعت نقيمه بمثل طاعته، والتقرب إليه، والإحسان إلى خلقه. وقال يحيى بن معاذ: ما أعرف حبة ترز جبال الدنيا إلا الحبة من الصدقة.

أخي المسلم:

في الصدقة قلّت أو كثرت، عشر خصال محمودة، خمسة في الدنيا، وخمسة في الآخرة:
أما التي في الدنيا:
فأولها: تطهير المال.

وثانيها: تطهير البدن كما قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾.

والثالث: أن فيها دفع البلاء والأمراض، كما قال عليه الصلاة والسلام: «داووا مرضاكم بالصدقة» ^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٤) ومسلم (٩٩٨).

(٢) رواه البيهقي (٣/٣٨٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه، والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٥٨).

ورابعها: أن فيها إدخال السرور على المساكين، وتفريج كربهم، وهذا من أفضل الأعمال.

والخامس: أن فيها بركة في المال، وسعة في الرزق، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾.

أما الخمسة التي في الآخرة:

فأولها: أن الصدقة تكون ظلاً لصاحبها من شدة الحر.

وثانيها: أن فيها خفة الحساب.

والثالثة: أنها تثقل الميزان.

والرابعة: جواز على الصراط.

والخامسة: زيادة الدرجات في الجنة.

ولو لم يكن في الصدقة فضيلة سوى دعاء المساكين، لكان الواجب على العاقل أن يرغب فيها، فكيف وفيها رضا الله تعالى، ورغم الشيطان، وفيها الاقتداء بالصالحين، لأن الصالحين كانت همته الصدقة.

وأثر الصدقة واضح على النفس، وفي بركة الأموال والأولاد، ودفع البلاء وجلب الرخاء، كما أن المتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه، وانفسح بها صدره.

قال ابن القيم: «فإن للصدقة تأثيراً عجيباً في دفع البلاء ولو كانت من فاجر أو ظالم بل من كافر، فإن الله يدفع بها أنواعاً من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به لأنهم جربوه».

أخي المسلم:

أموالك التي أنت تمسكها ولا تنفقها، مصيرها كما قال الرسول ﷺ: «يقول العبد مالي مالي، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى،

أو أعطى فاقنتي، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس»^(١).
 واحرص على أن تنظر في أمر قراباتك وذوي رحك، فإن الأجر مضاعف، قال ﷺ «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة، وصلة»^(٢).

كثير من حولك تتراكم عليهم الديون، وآخرون يفجعهم نهاية العام لقرب موعد دفع الإيجار، وأسر متعفة لا يعلم بحالها إلا الله لا تستطيع توفير متطلبات المدارس! وهناك أرامل وأيتام وشيوخ وعجوز! ولا يُظَنُّ أن الصدقة تكون ممن يملك الكثير فحسب، بل كل بحسبه، وله من الأجر ما لا يعلمه إلا الله عز وجل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبق درهم مائة ألف درهم» فقال رجل: وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال: «رجلٌ له مالٌ كثير أخذ من عرضه مائة ألف درهم تصدق بها، ورجل ليس له إلا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به»^(٣).

فأطلق يدك وتيقن بوعده الله عز وجل بالخير والأجر والثوبة، ولا يخوفنك الشيطان ويزين لك البخل والشح، فإن هذا يدن الشيطان وطريقته: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾.

أخي المنفق:

أنفق ولا تخشَ إقلاً فقد قُسمت
 على العباد من الرحمن أرزاقُ

(١) رواه مسلم: (٢٩٥٩).

(٢) رواه أحمد (٢١٤/٤) والترمذي (٦٥٣- تحفة) وقال: «حديث حسن»، وزواه ابن ماجه (١٨٤٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٥٨).

(٣) رواه النسائي (٢٥٢٧) والحاكم (٤١٦/١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٠٦).

لا ينفع البخل مع دنيا موليّة

ولا يضر مع الإقبال إنفاق

وأبشر أيها المنفق ببشارة من فوق سبع سماوات ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢١٦) ﴿وَلَا تَكُن مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾. واحذر أن تكون ممن هم أشد من أولئك: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٢١٧).

بل سارع وقدم لنفسك قبل الرحيل ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾.

جعلني الله وإياك ووالدينا من الحامدين الشاكرين، المنفقين في السراء والضراء، ممن ينادون يوم القيامة: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ (٧١). وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السابع والعشرون:

أهمية الدعوة إلى الله

الحمد لله الذي شرّع الشرائع، وأنزل الكتب، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الذي بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله من أهم المهمات، وأوجب الواجبات، وأعظم القربات، بها يستقيم أمر الفرد، ويصلح حال المجتمع.

قال الله عز وجل مثنيّاً على من قام بهذا العمل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣).
وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»^(١).

وقال رسول الله ﷺ حاثاً على أمر الدعوة ومبيناً فضلها: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمُر النّعم»^(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»^(٣).

(١) رواه مسلم: (٢٦٧٤).

(٢) رواه البخاري: (٣٧٠١) ومسلم: (٢٤٠٦).

(٣) رواه مسلم: (١٨٩٣).

وهذا فضل عظيم، وأجر واسع، وباب مفتوح، لمن أراد الخير وسعى له. وقد جاءت الآيات الكثيرة والأحاديث الشهيرة بالحث على الدعوة إلى الله، وبيان وجوبها وما فيها من الأجر العظيم.

والآيات القرآنية الدالة على الدعوة أكثر من آيات الصوم والحج اللذين هما ركنان من أركان الإسلام الخمسة، فالدعوة إلى الله من أعظم واجبات الشريعة المطهرة وأصل عظيم من أصولها، بها يكمل نظام الشريعة، ويرتفع شأنها.

فإن مهمة الدعوة إلى الله مهمة كبرى ومسئولية عظيمة، رتب الله عليها من الأجر العظيم ما الله به عليم، ولذا اختار الله سبحانه وتعالى لها أفضل الخلق وأكرم البشر، اختار لها سادات القوم وصفوة الأمة وفضلاءها. فالدعوة عمل الأنبياء والمرسلين والدعاة والمصلحين ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم.

ومن صور النماذج الدعوية ما قام به نبي الله نوح عليه السلام حيث دعا قومه سنوات طويلة دون كلل أو ملل، ودون أن يتسرب اليأس إليه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾.

وهذا يوسف عليه السلام لم يمنعه ضيق المكان، وقلة الحركة، وكثرة الحراس، من دعوة من كان معه في السجن فدعاهم إلى عبادة الله عز وجل ﴿يَصَدِّحِي السِّجْنَءَاتِ يَا بُتُّ مَتَرَفِقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٢٩).

ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، استمر في الدعوة طوال حياته ولاقى من الجهد والعنت والإعراض والصدود والاستهزاء والنفور الشيء الكثير، حتى وصل الحال إلى محاولة قتله مرات عديدة، واتهامه بتهم باطلة كاذبة من أنه ساحر ومجنون، وحتى أدمي عقبه الشريف، وشج رأسه، وكسرت رباعيته!

وهذا الخليفة الأول الصديق رضي الله عنه وأرضاه، لم يشغله الحزن على وفاة النبي ﷺ عن أمر الدعوة، بل سارع في وسط ذلك الحزن وتلك الفاجعة إلى تأكيد أمر الدعوة إلى الله وأهميتها، فعقد الألوية، وسير الجيوش، وأرسل الوفود والدعاة.

وفاروق الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجرحه يثعب دماً على فراش الموت، لم يترك أمر الدعوة، فعلى ضعفه وانحطاط قوى جسمه، ينادي شاباً أدبر وإزاره يمس الأرض فيقول: «ردوا عليّ الغلام» ثم قال له: «يا ابن أخي، ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك».^(١)

ومن تتبع سير السلف الصالح وعلماء هذه الأمة، يجد منهم الحرص والجد والمثابرة، حتى أصبحت الدعوة إلى الله هي شغلهم الشاغل، وهمهم المتصل.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. قال: ذكر الله سبحانه مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو: فإما أن يكون طالباً للحق محباً له، مؤثراً له على غيره إذا عرفه، فهذا يدعى بالحكمة ولا يحتاج إلى موعظة وجدال، وإما أن يكون مشتغلاً بغير الحق لكن لو عرفه أثره واتبعه، فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب، وإما أن يكون معانداً معارضاً، فهذا يجادل بالتي هي أحسن، فإن رجع وإلا انتقل معه إلى الجدال إن أمكن.

أخي المسلم:

إن تنوع الأساليب وتعدد أوجه الدعوة من ضرورياتها ومتطلباتها، هذا نوح عليه السلام ما ترك سبيلاً لدعوة قومه إلا سلكه، ولا باباً إلا طرقه،

(١) رواه البخاري: (٣٧٠٠) كتاب فضائل الصحابة: باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان رضي الله عنه.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعَهُمْ فِي عَادَتِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾ .

والرسول ﷺ كان يأتي إلى مجامع قريش وأسواقها ويدعوهم إلى توحيد الله عز وجل، ووقف منادياً على الصفا، واتخذ من موسم الحج منبراً للدعوة، وسار إلى الطائف، ثم هاجر إلى المدينة النبوية. إنها أساليب متنوعة وطرق متعددة، تخدم الدعوة، ولم تقف عند حد.. بل كل أسلوب اتبعه الرسول ﷺ أو له ضابط شرعي، فنحن نتبعه ونسير عليه. ثم مع هذا السير لا بد أن يوطن الداعي نفسه على تحمل المشقة والأذى، فالدعوة تحتاج إلى جهاد وصبر وإذلال النفس فيها لله عز وجل.

ولأهمية الدعوة فإن ترتيب الأولويات ضروري، فالتوحيد وإفراد الله عز وجل بالعبادة قبل الصلاة، والصلاة قبل الصوم. نبدأ بالأهم فالمهم.

لما بعث الرسول ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم..» (١).

أخي المسلم:

إن أعظم دعوة يقوم بها المسلم هي دعوة نفسه فيبدأ بها يلزمها الطاعة ويجنبها المعصية، ويجاهد نفسه في ذلك حتى تستقيم له. ثم يبدأ بمن هم تحت يده والأقرب له لمن دعوتهم فرض عين من زوجة وابن وخادم وغيرهم.

(١) رواه البخاري: (١٣٩٥) ومسلم (١٩).

لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ﴿٢١٩﴾ قام رسول الله ﷺ فقال: «يا فاطمة ابنة محمد، يا صفية ابنة عبدالمطلب، يا بني عبدالمطلب، لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم»^(١).

وينبغي لك أيها المبارك أن يكون كلامك هيناً ليناً، ووجهك منبسطاً طلقاً، فإن تليين القول مما يكسر سَوْرَةَ عناد العتاة، ويلين عريكة الطغاة. فالداعي أياً كانت منزلته وأياً كان عقله وعلمه ليس بأفضل من موسى وهارون، ومن وجهت إليه الدعوة ليس بأخبث من فرعون! وقد أمرهما الله جل وعلا باللين معه في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ﴿٤٤﴾. وعليك أخي المسلم بتوجيه الرسول ﷺ «وتبسمك في وجه أخيك صدقة»^(٢). فإن هذه الابتسامة مفتاحٌ للقلوب، وإظهار للمحبة، فهي تزيل الوحشة، وتبعد الفرقة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وينبغي أن يكون الداعي حليماً صبوراً على الأذى، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

وعلى الداعية أن يستحضر الإخلاص في عمله والصدق مع الله عز وجل في دعوته، حتي تُثمر، ويكتب لها القبول، ويثبت بها الأجر ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٠٨﴾ وقد جمعت هذه الآية العظيمة الإخلاص وشرط البصيرة والعلم.

أخي المسلم:

إن تيسر أسباب الدعوة وسهولة طرقها وتعددتها وتنوعها مدعاة إلى المسارعة والمسابقة في الخيرات، فلقد تيسر لنا في هذا الزمن ما لم يتيسر لغيرنا

(١) رواه مسلم (٢٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه الترمذي (٢٠٢٢ - تحفة) وقال: «حسن غريب». والحديث صححه الألباني في صحيح

الجامع (٢٩٠٨).

من وسائل الدعوة ورخص ثمنها وتنوعها وسهولتها .

ومن وسائل الدعوة: النصيحة الشخصية مهاتفة أو مشافهة أو مراسلة، ويلتزم فيها الداعي إظهار المحبة والحرص على الدعوة، ويذكر ما في المدعو من الخير وينبئه إلى المخالفات التي يقع فيها. والرسائل الشخصية عموماً من أجدى الوسائل وأكثرها تأثيراً، ولا عذر لأحد فالأمة كلها تكتب وكلها تقرأ، فأين أصحاب الهمم؟!

الوسيلة الثانية: الكتيب والشريط الإسلامي وثنهما لا يتجاوز ريالاً معدودة. واستشعر عظم الأجر مع قلة التكلفة. وأطلق بصرك لترى الرعيل الأول كيف كانوا ينفقون لأجل الدعوة ونشرها وإعلاء كلمة الله ورفعها، فهذا أبوبكر رضي الله عنه أنفق ماله كله، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أنفق نصف ماله، وغيرهما كثير. فلماذا تبخل بمائة ريال مثلاً كل شهر؟! واعلم أن أفضل أموالك، هي التي تستثمرها للآخرة.

ومن وسائل الدعوة المتيسرة - والله الحمد - الإحسان إلى الناس بالهدية، أو تفريج الكربة، وقضاء الحوائج، قال ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كَرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كَرْبِ الْقِيَامَةِ..» (١).

وهذه الخدمة الخالصة التي تقدمها لوجه الله عز وجل تفتح لك قلب المدعو، وتجعله يستمع إليك ويرضى بتوجيهك ويقبل نصحك:

أَحْسِنَ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدَ قُلُوبَهُمْ

فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ

وقدم - أخي الكريم - العفو والصفح فأنت مُحِبٌ مُشْفِقٌ تبحث عن أجر من الله عز وجل، وليس لك هدف دنيوي ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَعَلَيْكَ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَاجْعَلْهُ نَبْرَاساً لِحَيَاتِكَ وَنوراً يضيء طريق دعوتك ﴿٢٠٠﴾ أَدْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٢٠١﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٢٠٢﴾ .

واحذر من اليأس والقنوط في أمر الدعوة، فإن هذه أمراض مهلكة لدعوتك، ولا تقل دَعَوْتُهُ مرة وثانية فلم يستجب لي! تأمل في دعوة الرسول وهو يمضي في طريق دعوته سنوات طويلة، ولم ييأس ولم يتخاذل ويتكاسل حتى أشرقت الأرض بنور ربها. . . وفي كل مرة تحاول وتعاود الدعوة أنت مأجور مثاب ولا يهملك القبول أو الإعراض، فإن الهداية من الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

فعليك - أخي المسلم - القيام بالدعوة وليس لك تتبع النتائج وحصد الثمرة، فالدعوة جهاد وصبر واحتساب، ومعاودة وتكرار، واستغلال للفرص والأحداث، فاستصحب الصبر على الدعوة وعلى المدعويين، وعلى التضحية بوقتك ومالك وجهدك، وليس عليك وحشة، فأنت تسير على الخطى وتقتفي الأثر، في طريق غير موحشة، لأن أقدام الأنبياء والصالحين وطأته وتغبرت في طرقه. وكلما أظلت سحابة الفتور في سمائك استشعر عظم الأجر وجزيل المثوبة. . . وتأمل في مَنْ دعوتهم. . . إن صلوا فلك مثل أجر صلاتهم، وإن صاموا فلك مثل أجر صيامهم، وإن قاموا الليل فلك مثل أجر قيامهم!

أصلح الله نياتنا وذرياتنا ورزقنا الإخلاص في القول والعمل. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثامن والعشرون:

فضل الصبر والاحتساب

الحمد لله الذي جعل الصبر جواداً لا يكبو، وصارماً لا ينبو، وحصناً حصيناً لا يئلم، والصلاة والسلام على خير الصابرين والشافرين والحامدين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

ففي هذه الدنيا سهام المصائب مُشرعة، ورماح البلاء مُعدة مرسلّة.. فإننا في دار ابتلاء وامتحان ونكد وأحزان، والعبد في تنقلاته في هذه الحياة وأطواره فيها لا يخلو من حالتين:

الحالة الأولى: أن يحصل له ما يُحب، ويندفع عنه ما يكره، فوظيفته في هذه الحالة الشكر والاعتراف بأن ذلك من نعم الله عليه، فيعترف بها باطناً، ويتحدث بها ظاهراً، ويستعين بها على طاعة الله عز وجل، وهذا هو الشاكر حقاً.

الحالة الثانية: أن يحصل للعبد المكروه، أو يفقد المحبوب؛ فيحدث له همّ وحزن وقلق، فوظيفته الصبر لله، فلا يتسخط ولا يتضجر ولا يشكو للمخلوق ما نزل به، بل تكون شكواه لخالقه سبحانه وتعالى. ومن كان في الضراء صابراً وفي السراء شاكراً فحياته كلها خير، وبذلك يحصل على الثواب الجزيل ويكتسب الذكر الجميل.

وبالبلاء الذي يصيب العبد لا يخرج عن أربعة أقسام:

إما أن يكون في نفسه، أو في ماله، أو في عرضه، أو في أهله ومن يحب. والناس مشتركون في حصولها، فغير المؤمن التقى منها أعظم مما يلقي المؤمن كما هو مشاهد.

ولابد أن يعلم المصاب: أن الذي ابتلاه بمصيبته أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، وأنه سبحانه لم يُرسل البلاء ليُهْلِكْه به، ولا ليعذبه، ولا ليجتاحه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه، وليسمع تضرعه وابتهاله، وليراه طريحاً على بابه، لا تذأً بجناحه، مكسور القلب بين يديه، رافعاً قصص الشكوى إليه.

قال الله جل وعلا: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٥) وقال جل وعلا: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾. وقال تعالى مذكراً بعظم أجر الصابرين: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١٦).

وقد ذكر الله الصبر في القرآن في نيف وتسعين موضعاً، وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر، وجعلها ثمرة له، وجمع للصابرين أموراً لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (١٥٧) فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين.

وقرن عز وجل بين الصبر والصلاة فقال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٤٥) والحمد لله على فضله وجزيل عطائه فقد بشرنا الرسول ﷺ بقوله: «ما يصيب المسلم من نصبٍ ولا وصبٍ ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها» (١).

ولا يظن أحد أنه يسلم من البلاء والمصائب، فالأنبياء عليهم السلام نزل بهم من البلاء أشده وأعظمه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أي الناس أشد بلاءاً؟ قال: «الأنبياء» قلت: ثم من؟ قال:

(١) رواه البخاري (٥٦٤١، ٥٦٤٢) واللفظ له، ومسلم (٢٥٧٣) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما.

«الصالحون، إن كان أحدهم ليُبْتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يحتويها، وإن أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء»^(١).

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «من يرد الله به خيراً يُصَب منه»^(٢).
وأبشر - أخي المسلم - ببشارة عظيمة، تؤنس وحشتك، وتخفف مصيبتك، وتهون ما نزل بك، فقد قال المصطفى عليه الصلاة والسلام: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له»^(٣).

والخير الحاصل للشاكرين هو الزيادة: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ والخير الحاصل للصابرين هو الأجر والثواب والمغفرة والرحمة.

قال الفضيل رحمه الله: إن الله عز وجل ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء، كما يتعاهد الرجل أهله بالخير.

وقال رحمه الله: لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعدّ البلاء نعمة، والرخاء مصيبة، وحتى لا يجب أن يُحمد على عبادة الله.
والناس بين حالين: إما مُبتلى بعافية لينظر كيف شكره، أو مُبتلى ببلية لينظر كيف صبره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أما نعمة الضراء فاحتياجها إلى الصبر ظاهر، وأما نعمة السراء فتحتاج إلى الصبر على الطاعة فيها، فإن فتنة السراء أعظم من فتنة الضراء، والفقر يصلح عليه خلق كثير، والغنى لا يصلح عليه إلا أقل منهم، ولهذا كان أكثر من يدخل الجنة المساكين، لأن فتنة الفقر

(١) رواه ابن ماجه: (٤٠٢٤) والحاكم (٣/٣٤٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٩٥).

(٢) رواه البخاري: (٥٦٤٥).

(٣) رواه مسلم: (٢٩٩٩).

أهون، وكلاهما يحتاج إلى الصبر والشكر، لكن لما كان في السراء اللذة، وفي الضراء الألم، اشتهر ذكر الشكر في السراء، والصبر في الضراء.

أخي المسلم:

إذا فجعتك المصائب، ونزلت بك الهموم، وادلهمت بك الخطوب، وأظلمت عليك الدروب، فعليك بمنزلة الرضا لما قدر الله عز وجل وقضى، فإنها أعلى المنازل، فارض بقضاء الله وقدره ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾.

والمنزلة الثانية: الصبر على البلاء، وهذه لمن لا يستطع الرضا بالقضاء، فالرضا فضل مندوب إليه مستحب، والصبر واجب على المؤمن حتم، والفرق بين الرضا والصبر: أن الصبر كف النفس وحبسها عن السخط، مع وجود الألم وتمني زوال ذلك، وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع. والرضا: انشراح الصدر وسعته بالقضاء، وترك تمني زوال الألم وإن وجد الإحساس بالألم، لكن الرضا يخففه ما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة، وإذا قوي الرضا فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية.

وينقسم الصبر إلى: واجب، ومندوب، ومحذور، ومكروه، ومباح.

فالصبر الواجب ثلاثة أنواع:

الأول: الصبر على المحرمات.

الثاني: الصبر على أداء الواجبات.

الثالث: الصبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها كالأمراض والفقر

وغيرها.

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت

ويتلى الله بعض القوم بالنعم

أخى المسلم:

- إن من علاج المصائب والنوازل أموراً منها:
- الأول: أن يعلم بأن الدنيا دار ابتلاء، والكرب لا يرجى منه راحة.
- الثاني: أن يعلم أن المصيبة ثابتة وواقعة.
- الثالث: أن يقدر وجود ما هو أكثر من تلك المصيبة.
- الرابع: النظر في حال من ابتلي بمثل هذا البلاء، فإن التآسي راحة عظيمة.
- الخامس: النظر في حال من ابتلي بأكثر من هذا البلاء فيهون عليه هذا.
- السادس: رجاء الخلف إن كان من مضى يصح عنه الخلف كالولد والزوجة.
- السابع: طلب الأجر بالصبر في فضائله وثواب الصابرين وسرورهم في صبرهم، فإن ترقى إلى مقام الرضا فهو الغاية.
- الثامن: أن يعلم العبد أنه كيف جرى القضاء فهو خير له.
- التاسع: أن يعلم أن تشديد البلاء يخص الأختيار.
- العاشر: أن يعلم أنه مملوك لله وليس للمملوك في نفسه شيء.
- الحادي عشر: معاقبة النفس عند الجزع وأن الجزع لا يرد ما وقع ولا يدفعه.

الثاني عشر: إنما هي ساعة فكأن لم تكن وهي سحابة صيف وتزول.

ومما ينافي الصبر؛ شق الثياب عند المصيبة؛ ولطم الوجه، والضرب بإحدى اليدين على الأخرى، وحلق الشعر، والدعاء بالويل.

وقد علمنا رسول الله ﷺ ما نقوله حين المصيبة فقال: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في

مصيبتي وأخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها..»^(١).
وقد جعل الله كلمات الاسترجاع وهي قول المصاب «إنا لله وإنا إليه راجعون» ملاذاً وملجأً لذوي المصائب.

أخي المسلم:

المصائب تتفاوت، ولكن أعظمها المصيبة في الدين فهي أعظم مصائب الدنيا والآخرة وهي نهاية الخسران الذي لا ربح فيه، والحرمان الذي لا طمع معه.

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا ضَيَّعْتَهُ عَوَّضٌ
وَمَا مِنْ اللَّهِ إِنْ ضَيَّعْتَهُ عَوَّضٌ
أبشر أيها المبتلى والمصاب بأجر عظيم وثواب جزيل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله تعالى وما عليه خطيئة»^(٢).
اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، اللهم اجعلنا من الشاكرين الراضين الصابرين المحتسبين، الذين يُوقُونَ أجورهم بغير حساب. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) رواه مسلم: (٩١٨).

(٢) زواه الترمذي: (٢٥١٠- تحفة) وقال: «حديث حسن صحيح»، والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨١٥).

الدرس التاسع والعشرون:

زكاة الفطر وأحكام العيد

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله ومُنّه يتجاوز عن الخطايا والسيئات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فها هي صفحات الأيام تطوى، وساعات الزمن تنقضي.. بالأمس القريب استقبلنا حبیباً واليوم نودعه.. وقبل أيام أهلّ هلال رمضان، واليوم تصرمت أيامه.. ولئن فاخرت الأمم - من حولنا - بأيامها وأعيادها وأخلعتها أقداراً زائفة، وبركات مزعومة، وسعادة واهية، فإنما هي تضرب في تيه، وتسعى في ضلال.. ويبقى الحق والهدى طريق أمة محمد ﷺ.

فالحمد لله الذي هدى أمة الإسلام سبيلها، وألهمها رشدًا، وخصّها بفضل لم يكن لمن قبلها.. أطلق بصرك لترى هذه الأمة المرحومة مع إشراقة يوم العيد تتعبد الله عز وجل بالفطر، كما تعبدته من قبل بالصيام.

عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ لما قدم المدينة وجدهم يحتفلون بعيدين، فقال: «كان لكم يومان تلعبون فيهما، وقد أبدلكم الله بهما خيراً منهما: يوم الفطر، ويوم الأضحى»^(١). والعيد شعيرة من شعائر الإسلام ومظهر من أجلّ مظاهره، تهاون به بعض الناس، وقدموا الأعياد المحدثّة عليه، فترى من يستعد لأعياد الميلاد وأعياد الأم وغيرها، ويسعد هو وأطفاله بقدموها، ويصرف الأموال لإحيائها. أما أعياد الإسلام فلا قيمة لها، بل ربما تمرّ وهو معرض عنها غير مُلتفت إليها، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ

(١) رواه أبو داود (١١٣٤) والنسائي (١٥٥٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٦٠).

شَعَتِرَ اللَّهُ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ .

إن يوم العيد يوم فرح وسرور لمن طابت سريرته، وخلصت لله نيته .
ليس العيد لمن لبس الجديد، وتفاخر بالعدد والعديد، إنما العيد لمن خاف يوم
الوعيد، واتقى ذا العرش المجيد، وسكب الدمع تائباً رجاء يوم المزيد .

أخى المسلم:

إليك وقفات سريعة موجزة مع آداب العيد وأحكامه :

أولاً: احمد الله عز وجل أن أتم عليك أيام هذا الشهر العظيم، وجعلك
من صامه وقامه . وأكثر من الدعاء بأن يتقبل الله منك الصيام والقيام، وأن
يتجاوز عن تقصيرك وزلللك .

ثانياً: التكبير، يشرع التكبير من غروب الشمس ليلة العيد إلى صلاة
العيد، قال الله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٨٥) . . وصفته: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله،
والله أكبر، الله أكبر، والله الحمد» ويُسَنُّ جهر الرجال به في المساجد والأسواق
والبيوت إعلاناً بتعظيم الله، وإظهاراً لعبادته وشكره .

ثالثاً: زكاة الفطر؛ شرع الله عز وجل في نهاية هذا الشهر وختامه زكاة
الفطر، وهي طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، وتكون
صاعاً (ما يعادل كيلوين وأربعين غراماً) من شعير أو تمر أو أقط أو زبيب أو
أرز أو نحوه من الطعام - عن الصغير والكبير والذكر والأنثى والحر والعبد من
المسلمين - ويُسَنُّ إخراجها عن الجنين، وأفضل وقت لإخراجها هو قبل صلاة
العيد، ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين، ولا يجوز تأخيرها عن صلاة
العيد، ولا يجوز إخراجها نقوداً، لأن ذلك مخالف لأمر الرسول ﷺ، وتكون
من طعام الآدميين، ويجب تحري المساكين لدفعها إليهم . ومن صور تربية
البيت المسلم تعويد أهل البيت على إخراجها بمشاركة الصغار .

رابعاً: الاغتسال والتطيب للرجال، ولبس أحسن الثياب؛ بدون إسراف ولا إسبال، ولا حلق لحية فهذا حرام. أما المرأة فيُشَرع لها الخروج إلى مصلى العيد بدون تبرج ولا تطيب، وأرباباً بالمسلمة أن تذهب لطاعة الله عز وجل في يوم توزيع الجوائز وهي مُتلبسة بمعصية التبرج والسفور والتطيب أمام الرجال الأجانب.

خامساً: أكل تمرات وتراً؛ ثلاث، أو خمس، قبل الذهاب إلى المصلى لفعل الرسول ﷺ.

سادساً: الصلاة مع المسلمين وحضور الخطبة؛ والذي رجحه المحققون من أهل العلم منهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وغيره: أن صلاة العيد واجبة ولا تسقط إلا بعذر، والنساء يشهدن العيد مع المسلمين حتي الحيض، ويعتزل الحيض المصلى.

سابعاً: لا بأس بالتهنئة بالعيد، كقول: (تقبل الله منا ومنك). وننبهك - أخي المسلم - إلى بعض المخالفات - مع الأسف - التي تقع في يوم العيد وليلتة لتحذرهما. والعجب أن يختم بعض المسلمين هذه الطاعة بالمعاصي. ويستبدل البعض الآخر الاستغفار في نهاية كل عبادة باللغو والعبث. ومن المخالفات:

أولاً: التكبير الجماعي بصوت واحد، أو الترديد خلف شخص يقول: «الله أكبر»، أو إحداث صيغ تكبير غير مشروعة.

ثانياً: اعتقاد مشروعية إحياء ليلة العيد ويتناقلون أحاديث لا تصح.

ثالثاً: تخصيص يوم العيد لزيارة المقابر والسلام على الأموات.

رابعاً: اختلاط النساء بالرجال في بعض المصليات والشوارع

والمتنزهات.

خامساً: بعض الناس يجتمعون في العيد على الغناء واللهو والعبث، وهذا لا يجوز.

سادساً: البعض يظهر عليه الفرح بالعيد لأن شهر رمضان انتهى، وتخلص من العبادة فيه، وكأنها حمل ثقل على ظهره. . وهذا على خطر عظيم.

سابعاً: الإغراق في المباحات من لبس وأكل وشرب حتى تجاوز الأمر إلى الإسراف في ذلك، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣١).

أخي المسلم:

لا تنسَ أن رب رمضان هو رب الشهور. واستمر على الطاعة، واسأل الله عز وجل الثبات على هذا الدين حتي تلقاه، واعلم أن نهاية وقت الطاعة والعبادة ليس مدفع العيد كما يتوهم البعض، بل هو كما قال الله عز وجل: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٩٩) . . واليقين هو الموت. قال بعض السلف: ليس لعمل المسلم غاية دون الموت.

وقال الحسن: أبى قوم المداومة، والله ما المؤمن بالذي يعمل شهراً أو شهرين أو عاماً أو عامين، لا والله ما جعل لعمل المؤمن أجلً دون الموت.

وقرأ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو يخاطب الناس على المنبر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ . . فقال: استقاموا والله بطاعة، ثم لم يروغوا وروغان الثعلب.

وإن ودعت - أيها المسلم - شهر الطاعة والعبادة وموسم الخير والعشق من النار، فإن الله عز وجل جعل لنا من الطاعات والعبادات ما تنهأ به نفس المؤمن، وتقر به عين المسلم من أنواع النوافل والقربات طوال العام. ومن ذلك:

١ - صيام ست من شوال، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ

قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال، كان كصيام الدهر»^(١). وإن كان عليك قضاء فاقضه، ثم صمها.

٢ - صيام أيام البيض، وصيام يوم عرفة لغير الحاج، وكذلك صيام أيام الاثنين والخميس.

٣ - قيام الليل والمحافظة على الوتر، والتأس بالأخيار ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾^(٧).

٤ - المداومة على الرواتب التابعة للفرائض: اثنتا عشرة ركعة: أربع قبل الظهر وركعتان بعده، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل الفجر.

٥ - قراءة القرآن والحرص على ذلك يومياً، ولو جزءاً واحداً على الأقل، ولا يكن آخر عهدك بهذا المصحف شهر رمضان.

٦ - احرص على أعمال البر، واستقم على الطاعة، قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمِنَ تَابٍ مَّعَكَ﴾.

٧ - تذلل وتضرع، وادع ربك أن يحييك على الإسلام، وأن يميئك عليه، واسأله الثبات على كلمة التوحيد، فمن دعاء نبي هذه الأمة ﷺ: «يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك»^(٢).

وأنواع الطاعات كثيرة، وأجرها عظيم، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٩)...

فاحرص - أخي المسلم - على الاستمرار على الأعمال الصالحة، واحذر

(١) رواه مسلم: (١١٦٤).

(٢) رواه الترمذي: (٢٢٢٦) تحفة - وقال: «حديث حسن صحيح» والحديث صحيحه الشيخ

الألباني في صحيح الجامع (٧٩٨٧).

أن يفجأك الموت على معصية، واستحضر أن من علامات قبول عملك في رمضان استمرارك على الطاعة بعده، والحسنة تتبعها الحسنة، والسيئة تجر السيئة.

أيها الحبيب:

أيام العيد ليست أيام لهو وغفلة، بل هي أيام عبادة وشكر، والمؤمن يتقلب في أنواع العبادة، ولا يعرف حداً لها. ومن تلك العبادات التي يحبها الله ويرضاها: صلة الأرحام، وزيارة الأقارب، وترك التباغض والتحاسد، والعطف على المساكين والأيتام، وإدخال السرور على الأرملة والفقير.

وتأمل دورة الأيام واستوحش من سرعة انقضائها. . وافزع إلى التوبة وصدق الالتجاء إلى الله عز وجل، ووطن أيها الحبيب نفسك على الطاعة وألزمها العبادة فإن الدنيا أيام قلائل. . واعلم أنه لا يهدأ قلب المؤمن ولا يسكن روعه حتى تطأ قدمه الجنة. . فسارع إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وجنب نفسك ناراً تلظى لا يصلها إلا الأشقى. . وعليك بحديث الرسول ﷺ: «سَدُّوا قَارِبُوا، واعلموا أن لن يُدْخَلَ أَحَدَكُم عَمَلُهُ الجنة، وأنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا إِلَى اللَّهِ وَإِنْ قَلَّ»^(١).

اللهم ثبتنا على الإيمان والعمل الصالح وأحينا حياة طيبة وألحقنا بالصالحين. . ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) رواه البخاري: (٦٤٦٤) ومسلم (٢٨١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

الدرس الثلاثون:

الدعاء

الحمد لله مجيب مَنْ دعاه، له الحمد في الأولى والآخرة وإليه المآل،
والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:
فإن شهر الصوم شهر ذلة وخضوع ومسكنة ودموع، يتقرب فيه المسلم
إلى الله عز وجل بأنواع العبادات، وأجل القربات، من صلاة وصيام ودعاء
وصدقة وغيرها.

والدعاء عبادة عظيمة غفل عنها بعض المسلمين، وتهاونوا في أمرها،
وهو جبل موصول، وعروة وثقى مع الله عز وجل. وللدعاء فضائل ومزايا
عديدة منها:

أولاً: أن الله عز وجل أمر بالدعاء ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ
لَكُمْ﴾. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ
إِذَا دَعَانِ﴾.

ثانياً: الدعاء هو العبادة كما في قوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»^(١).

ثالثاً: الدعاء يرد البلاء ويدفعه: قال عليه الصلاة والسلام: «إنَّ
الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء»^(٢).

رابعاً: المعية الخاصة من الله عز وجل لمن دعاه: قال ﷺ: «إن الله تعالى

(١) رواه أبو داود (١٤٧٩) والنسائي (١١٤٦٤) والترمذي (٣٥٩٦) تحفة - وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٣٨٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٧).

(٢) رواه الترمذي (٣٧٨٠ - تحفة) والحاكم (٤٩٣/١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٩).

يقول: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني»^(١).

خامساً: لا يرد القضاء إلا الدعاء كما قال عليه الصلاة والسلام.

وفي الدعاء من الذل والانكسار لله عز وجل معنى عظيم من أنواع العبودية وتخليص القلب وتفريغه من التعلق بغيره، والدعاء من أكرم الأشياء عند الله كما روى ذلك الترمذي. «ليس شيءٌ أكرم على الله من الدعاء»^(٢)، وفي الدعاء ادخار الأجر والمثوبة عند الله إذا لم يُجِب الداعي في الدنيا، وهذا أنفع وأحسن.

أخي المسلم:

للدعاء آداب يجب مراعاتها والأخذ بها ومنها:

أولاً: الجزم فيه واليقين على الله بالإجابة: لقوله ﷺ: «إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، ارحمني إن شئت، ارزقني إن شئت. وليعزم مسألته، إنه يفعل ما يشاء لا مكره له»^(٣).

ثانياً: حضور القلب وعدم الغفلة عند الدعاء، كما قال عليه الصلاة والسلام: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه»^(٤).

ثالثاً: الدعاء في كل الأحوال: لقوله ﷺ: «من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب، فليكثر الدعاء في الرخاء»^(٥).

(١) رواه مسلم: (٢٦٧٥).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٩٣) - تحفة) وابن ماجه (٣٨٢٩) والبخاري في الأدب المفرد (٧١٢) وحسنه الألباني.

(٣) رواه البخاري (٧٤٧٧) ومسلم (٢٦٧٩).

(٤) رواه الترمذي (٣٧٠٩) - تحفة) والحاكم (٦٧٠/١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٥).

(٥) رواه الترمذي (٣٦٠٦) - تحفة) والحاكم (٥٤٤/١) وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦٢٩٠).

ومن آداب الدعاء أيضاً: أن يخفض صوته بين المخافتة والجهر، وأن يسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى، ويثني عليه، ويصلي ويسلم على رسوله ﷺ، وأن يتوخى أوقات الإجابة، ولا يتكلف السجع في الدعاء، وأن يكون مستقبلاً القبلة رافعاً يديه متوضئاً قبله، مع إظهار الافتقار والضعف والشكوى إلى الله عز وجل.

أخي المسلم:

من الأوقات والأحوال التي يستجاب فيها للداعي: ليلة القدر، وفي جوف الليل، ودبر الصلوات المكتوبة، والدعاء بين الأذان والإقامة، والدعاء حال السجود وفي آخر ساعة من يوم الجمعة، والصائم، والمسافر، والوالد، ودعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب، وغيرها من أوقات الإجابة. فاحرص على استغلال هذه الأوقات والأحوال في هذا الشهر المبارك، وأكثر من الدعاء لنفسك بالهداية والتوفيق، وقبول التوبة والتجاوز عن الخطيئة، والعفو عن التقصير والزلل، واسأل الله عز وجل أن يحييك على الإسلام ويميتك عليه، وأن ينجيك من النار، واسأله الخاتمة الحسنة والدرجة العالية في الجنة، ولا تغفل عن ذريتك فقد سبقك الأنبياء والمرسلون إلى ذلك ودعوا كثيراً لذرياتهم وزوجاتهم، واجعل لشباب المسلمين نصيباً من دعائك، وخصّ علماء ودعاة الأمة وولاة أمرها ورجالها المخلصين بالدعاء والتوفيق والسداد.

واحذر - أخي المسلم - من موانع الإجابة ومنها:

أولاً: الاستعجال في الدعاء فإن الرسول ﷺ يقول: «يستجاب للعبد ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة، رحم ما لم يستعجل، قيل: يا رسول الله ما

الاستعجال؟ قال: يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أريستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدعُ الدعاء»^(١).

ثانياً: أكل الحرام من ربا ورشوة وسرقة وأكل مال اليتيم، وأكل حقوق الغير، والتعدي على أموال الناس، وأخذ حقوق العمال، وكذلك خيانة الأمانة، والتأخر عن الدوام أو إضاعة وقته، ولو حسبت كم دقيقة تضيع من جرّاء تأخرك أو خروجك بدون عذر شرعي لعرفت كم يدخل بطنك من الحرام وبدون وجه حق، يقول ﷺ في الرجل الذي يمد يديه إلى السماء ويقول: «يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وعُدّي بالحرام، فأنتي يستجاب لذلك؟»^(٢).

ثالثاً: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لحديث الرسول ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم»^(٣).

وعندما سئل إبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ فقال: «لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفتتم الأموات فلم تعتبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس».

أخي المسلم:

لا يغيب عن بال الداعي أنه يحصل بسبب الدعاء: سكينه في النفس

(١) رواه مسلم: (٢٧٣٥) ومعنى يستحسر: ينقطع ويمل ويفتر.

(٢) رواه مسلم: (١٠١٥).

(٣) رواه أحمد: (٣٨٨/٥) والترمذي (٢٢٥٩- تحفة) وقال: «حديث حسن»، والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٠٧٠).

وانشراح في الصدر، وصبر يسهل معه احتمال الواردات عليه، وهذا نوع عظيم من أنواع الإجابة فأكثر من الدعاء والابتهاال إلى الله عز وجل ولا تكن ممن عناهم الرسول ﷺ بقوله: «أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام»^(١).

واسمع إلى قول الله عز وجل وهو يناديك ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ الْكُمَّ﴾. أخى المسلم:

لا تسألنَّ بُنيَّ آدمَ حاجةً
وسأل الذي أبوابه لا تُجِبُ
اللهُ يغضبُ إن تركت سؤاله
وإذا سألت بُنيَّ آدمَ يغضبُ
فإياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه، وعليك بمن بابه مفتوح فقد أمرك أن تسأله ووعدك بالإجابة.
واسأل الله بقلب حاضر ونفس منقطعة إليه، وأمل ورجاء في الإجابة،
فإن الله كريم جواد، برحيم.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم آمن روعاتنا واستر عوراتنا، اللهم أصلح أحوال المسلمين، وولّ عليهم خيارهم، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واغفر لنا ولوالدينا، ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٥٥٨٧) وابن حبان (١٤/٧) والبخاري في الأدب المفرد (١٠٤٢) وقال الشيخ الألباني: صحيح الإسناد موقوفاً وصح مرفوعاً، وانظر: صحيح الجامع (١٠٤٤) والصحيحة (٦٠١).

الدرس الحادي والثلاثون:

وصايا عامة

الحمد لله رب العالمين، اللهم لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن خير ما يقدم للأخ المسلم وصايا الإسلام وتعاليمه، فإن في التمسك بها النجاة والسعادة في الدارين، ومن تلك الوصايا:

أولاً: اعلم - وفقك الله تعالى - أنه لا بد من توفر شرطين لأي عبادة أو طاعة تتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى ويسقوطهما أو يسقوط أحدهما يحبط العمل وهما:

الشرط الأول: الإخلاص لله في هذا العمل، وذلك بأن تكون مخلصاً في هذا العمل نيتك لله وحده لا شريك له، لا تريد مدحاً ولا ثناءً ولا جزاءً من أحد من الخلق.

الشرط الثاني: المتابعة للرسول ﷺ وذلك بأن يكون العمل قد سنّه الرسول ﷺ.

أخي المسلم:

الأصل في العبادات الاتباع وليس الابتداع كما قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(١). وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(٢).

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧) مسلم: (١٧١٨).

(٢) رواه مسلم: (١٧١٨)(١٨).

فدين الإسلام كامل شامل، كما قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

فكيف بحال من أحدثوا في الدين ما ليس منه؛ كالاحتفال بالمولد النبوي، وليلة الإسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان، وغيرها من المناسبات التي لم يثبت عن نبينا محمد ﷺ، ولا عن أحد من الصحابة، ولا من تابعيهم تعظيم لها؟ فهل الذين يحيون هذه الليالي والأيام يحبون الرسول ﷺ أكثر من حب الصحابة والتابعين؟!

ثانياً: حافظ على السنن الرواتب وهي: قبل الفجر ركعتان، وقبل الظهر أربع وبعدها ركعتان، وبعد المغرب ركعتان، وبعد العشاء ركعتان. لقوله ﷺ: «ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة (أو إلا بُني له بيت في الجنة)»^(١).

واحرص على أن يكون أداؤها في البيت لقوله ﷺ: «صلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة»^(٢).

وسُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عمن واظب على ترك السنن الرواتب؟ فأجاب: «من أصر على تركها، دلَّ ذلك على قلة دينه فردَّتْ شهادته»^(٣).

ثالثاً: عليك بالمحافظة على صلاة الوتر فإنها من السنن التي كان يواظب عليها المصطفى ﷺ في الحِلِّ والسفر، قال: «اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً»^(٤).

(١) رواه مسلم: (٧٢٨) (١٠٣).

(٢) رواه البخاري (٧٣١) ومسلم (٧٨١).

(٣) الفتاوى (١٢٧/٢٣).

(٤) رواه مسلم: (٧٥١) (١٥١).

وسنة الضحى لقوله ﷺ: «يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة؛ فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزىء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى»^(١).

فبالداومة على هذه السنة تكون على صلة بربك طوال يومك وليلتك.

رابعاً: ليوم الجمعة وليلته مزايا وآداب تميّزه عن سائر الليالي والأيام منها:

أ - الاغتسال في يوم الجمعة، وقد أوجبه بعض أهل العلم واستدلوا بقوله عليه الصلاة والسلام: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم»^(٢).

ب - التطيب، والتعطر، والتسوك، وتقليم، الأظافر، ولبس الحديد من الثياب، كما كان يفعل ذلك النبي ﷺ.

ج - الإكثار من الصلاة والسلام على رسول ﷺ في هذا اليوم لقوله ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي»^(٣).

د - أن في يوم الجمعة ساعة إجابة كما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه. وأشار بيده يقللها»^(٤).

(١) رواه مسلم: (٧٢٠).

(٢) رواه مسلم (٨٤٦)، ومختلم: أي بالغ.

(٣) رواه أبو داود (١٠٤٧) النسائي (١٣٧٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢١٢).

(٤) رواه البخاري: (٩٣٥) ومسلم (٨٥٢).

وهذه الساعة يرجح أنها آخر ساعة من يوم الجمعة قبل غروب الشمس .

هـ - من الآداب التبكير والمشي على الأقدام إلى صلاة الجمعة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول، ومثل المهجر كمثل الذي يهدي بدنة، ثم كالذي يهدي بقرة، ثم كبشاً، ثم دجاجة، ثم بيضة، فإذا خرج الإمام طووا صحفهم يستمعون الذكر»^(١).

ولحديث أوس بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من غسل يوم الجمعة واغتسل، ثم بكر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها»^(٢).
و - قراءة سورة الكهف في يومها، فقد روي عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»^(٣).

أخي المسلم:

قبل أن تنام لا تنس هذه الأوراد، وعليك بحفظها وذكرها عند نومك كي تكون محفوظاً من الله سبحانه وتعالى، فمنها:
* ما روت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما: ﴿قل هو الله أحد﴾ ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من

(١) رواه البخاري (٩٢٩) ومسلم (٨٥٠) ومعنى المهجر: المبكر.

(٢) رواه أبو داود (٣٤٥) والترمذي (٤٩٤ - تحفة) وقال: «حديث حسن» وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٠٥) والترغيب (٨٦٧).

(٣) رواه البيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٧٠) وصحيح الترغيب (٧٣٥).

جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده . يفعل ذلك ثلاث مرات»^(١).

* قراءة آية الكرسي لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه أتاه آتٍ يحثو من الصدقة - وكان النبي ﷺ قد جعله عليها - ليلة بعد ليلة، فلما كان في الليلة الثالثة، قال: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بهن - وكانوا أحرص شيء على الخير - فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي حتى تحتّمها فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح . فقال النبي ﷺ: «صدقك وهو كذوب، ذاك الشيطان»^(٢).

* التسبيح ثلاثاً وثلاثين والتحميد ثلاثاً وثلاثين والتكبير أربعاً وثلاثين، لما ورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها أتت النبي ﷺ تسأله خادماً فلم تجده، ووجدت عائشة فأخبرتها . قال علي: فجاءنا النبي ﷺ وقد أخذنا مضاجعنا فقال: «ألا أدلكما على خير مما سألتما، إذا أويتما إلى فراشكما فكبراً أربعاً وثلاثين، وسبّحاً ثلاثاً وثلاثين، واحمداً ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم» قال علي رضي الله عنه: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ . قيل: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين^(٣).

* الوضوء: فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من بات طاهراً، بات في شعاره»^(٤) ملك، فلم يستيقظ إلا قال

(١) رواه البخاري: (٥٠١٧) كتاب فضائل القرآن: باب فضل المعوذات .

(٢) رواه البخاري: (٢٣١١) .

(٣) رواه البخاري (٦٣١٨) ومسلم (٢٧٢٧) .

(٤) الشعار: مايلي بدن الإنسان من ثوب وغيره .

الملك: اللهم اغفر لعبدك فلان، فإنه بات طاهراً»^(١).
أخي المسلم:

أحرص على الالتزام بخصال الفطرة وهي كما جاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء» قال زكريا: قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة. زاد قتيبة: قال وكيع: انتقاص الماء يعني الاستنجاء^(٢).

اللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل، ووفقنا لاتباع سنة نبيك ﷺ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) رواه ابن حبان (٣٢٨/٣) عن ابن عمر، وقال الحافظ في الفتح (١١٣/١١): «وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس نحوه بسند جيد» المعجم الأوسط (٥٠٨٧).
 (٢) رواه مسلم: (٢٦١).

الدرس الثاني والثلاثون:

الأخوة في الله

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الله عز وجل جعل هذه الأمة أمة صفاء ونقاء في العقيدة والعبادة والسلوك والمعاملة. وجعل أخوة الدين أعلى من رابطة النسب والقرابة قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وهي أخوة إيمانية قوية لا تزيدها الأيام إلا قوة ورسوخاً وقرباً، قال عليه الصلاة والسلام: «المسلم أخو المسلم»^(١). وقد حث الله عز وجل على الترابط والتواد والتراحم ونبذ الفرقة والقطيعة، فقال تعالى: ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ فأمة الإسلام أمة واحدة لا يعترئها التفريق والانقسام، فهي أمة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً. وهذه المحبة في الله طريق إلى العبادة والتقرب إلى الله عز وجل، فهي من الأعمال الصالحة، ومن أوثق عرى هذا الدين.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله» قالوا: يا رسول الله، تخبرنا من هم؟ قال: «هم قوم تحابوا بروح الله، على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن

الناس . وقرأ هذه الآية: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلمهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي» (٢).

وفي حديث السبعة الذين يظلمهم الله في ظله ذكر منهم: «ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه»

والأخوة في الله لا تنقطع بنهاية هذه الدنيا بل هي مستمرة في الآخرة يقول تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٣).

أخي المسلم:

إن التحاب في الله والأخوة في دينه من أفضل القربات، ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله، وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الأخوة عن شوائب الكدر ونزغات الشيطان، فبالقيام بحقوقها يُتَقَرَّبُ إلى الله زلفى، وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلا.

ومن هذه الحقوق:

أولاً: الحب والمناصرة والتأييد والمؤازرة ومحبة الخير لهم، كما قال عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (٤).

ثانياً: التواصي بالحق والصبر وأداء النصيحة إليه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبيين الطريق له وإعائته على الخير ودفعه إليه، يقول

(١) رواه أبو داود (٣٥٢٧) والطبري في التفسير (١٧٧٢٩/٦)، ورواه من حديث أبي هريرة ابن حبان (٥٧٣) والطبري (١٧٧٢٨/٦). وصحح شعيب الأرناؤوط إسناد حديث أبي هريرة في جامع العلوم والحكم (٣٤٤/٢).

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٦).

(٣) رواه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥).

تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾، ويقول تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

ثالثاً: القيام بالأمر التي تدعو إلى التواد وزيادة الصلاة، وأداء الحقوق، قال عليه الصلاة والسلام: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعذه، وإذا مات فاتبعه»^(١).

رابعاً: من حقوق المسلم على المسلم لين الجانب وشفاء السريرة وطلاقة الوجه والتبسط في الحديث، قال عليه الصلاة والسلام: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»^(٢). واحرص على نبذ الفرقة والاختلاف. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ولو كان كل ما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا، لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة.

خامساً: من حقوق المسلم على المسلم دلالة على الخير وإعانتة على الطاعة، وتحذيره من المعاصي والمنكرات، وردعه عن الظلم والعدوان، قال ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، إن يك ظالماً فاردده عن ظلمه، وإن يك مظلوماً فانصره»^(٣).

حكى عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة فقبل لأخيه: ألا تقطعه وتهجره، فقال: أحوج ما كان إليّ في هذا الوقت لما وقع في

(١) رواه مسلم: (٢١٦٢) (٥).

(٢) رواه مسلم: (٢٦٢٦).

(٣) رواه بهذا اللفظ الدارمي (٢٧٥٣/٢) عن جابر رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٠١) ورواه البخاري عن أنس بلفظ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً». فقال رجل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره» (٦٩٥٢) فتح الباري.

عشرته أن آخذ بيده وأتلطف له في المعاتبة، وأدعو له بالعودة إلى ما كان عليه .
والنصيحة باب واسع من أبواب المحبة . قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداها الأخرى، وقد لا ينقطع الوسخ إلا بنوع من الخشونة، لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة ما يُحمد منه ذلك التخشين» .

سادساً: وتكتمل المحبة بين المؤمنين في صورة عجيبة ومحبة صادقة . .
عندما يكونان متباعدين وكل منهم يدعو للآخر بظهر الغيب في الحياة وبعد الممات قال ﷺ: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل»^(١) .

سابعاً: تلمس المعاذير لأخيك المسلم، والذب عن عرضه في المجالس، وعدم غيبته أو الاستهزاء به، وحفظ سره والنصيحة له إذا استنصح لك وعدم ترويجه وإيذائه بأي نوع من أنواع الأذى . قال ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يروغ مسلماً»^(٢) .

ثامناً: من واجبات الأخوة الإسلامية: إعانة الأخ المسلم، ومساعدته وقضاء حاجاته، وتفريج كربته، وإدخال السرور على نفسه، قال عليه الصلاة والسلام: «أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة، أو يقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد - يعني مسجد المدينة - شهراً»^(٣) .

(١) رواه مسلم: (٢٧٣٣)

(٢) رواه أحمد (٣٦٢/٥) وأبو داود (٥٠٠٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٥٨).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٤٥٣/١٢) عن ابن عمر وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٧٦).

تاسعاً: تفقد الأحباب والإخوان والسؤال عنهم وزيارتهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله تعالى له على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله تعالى، قال: فيني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله، ناداه منادٍ بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً»^(٢).

عاشراً: تقديم الهدية والحرص على أن تكون مفيدة ونافعة مثل إهداء الكتاب الإسلامي أو الشريط النافع أو مسواك أو غيره، وقد «كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها»^(٣).

أخي المسلم:

أوصى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بوصية جامعة فقال: «عليك بإخوان الصديق تعيش في أكنافهم، فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يحيئك ما يُقلِّيك منه، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من يخشى الله، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرّك».

جعلنا الله من المتحايين فيه، ورزقنا محبة المؤمنين والقيام بحقوقهم. اللهم وفقنا لما تحب وترضى، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) رواه مسلم: (٢٥٦٧).

(٢) رواه الترمذي: (٢٠٧٦- تحفة) وابن ماجه (١٤٤٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٨٧).

(٣) رواه البخاري (٢٥٨٥) كتاب الهبة: باب المكافأة في الهبة.

الدرس الثالث والثلاثون:

غض البصر

الحمد لله الذي خلق السمع والأبصار والأفئدة، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فلقد أسبغ الله عز وجل علينا نعماً ظاهرة وباطنة، لا تعد ولا تحصى، ومن أعظم تلك النعم وأهمها نعمة البصر، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (١٣).

ومن عظيم قدرها أن أبدل الله عز وجل من سلب منه عينيه فصبر الجنة. قال عليه الصلاة والسلام: «إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه، فصبر، عوضته منهما الجنة» (١).

ونعمة البصر من أعظم النعم إذا استخدمها العبد في طاعة الله عز وجل، أما إذا كانت خلاف ذلك، فإنها تكون سبباً للحسرة في الدنيا، والندامة في الآخرة، ولذا جاء الأمر الإلهي للمؤمنين كافة بغض البصر وحفظه، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٢) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ الآية.

قال ابن كثير رحمه الله: «وهذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرّم عليهم، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على مُحَرَّمٍ من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعاً».

(١) رواه البخاري: (٥٦٥٣) كتاب المرضى: باب فضل مَنْ ذهب بصره.

وقال ابن القيم رحمه الله: وأمر الله تعالى نبيه أن يأمر المؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم، وأن يُعلمهم أنه مشاهد لأعمالهم مطلع عليها ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ﴿١٩﴾ ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر، جعل الأمر بغضه مقدماً على حفظ الفرج، فإن الحوادث مبدأها من البصر، كما أن معظم النار من مستصغر الشرر، تكون نظرة ثم خطرة ثم خطوة ثم خطيئة. ولهذا قيل: من حفظ هذه الأربعة أحرز دينه: اللحظات، والخطرات، واللفظات، والخطوات.

وقد جعل الله العين مرآة القلب، فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق بصره أطلق القلب شهوته.

ولما كان إطلاق البصر سبباً لوقوع الهوى في القلب، أمر الشرع بغض البصر عما يُحاف عواقبه، قال ابن القيم معلقاً على حديث الرسول ﷺ: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حُظُّهُ مِنَ الزَّنا..»^(١) قال: فبدأ بزنا العين لأنه أصل زنا اليد والرجل والقلب والفرج. فاحذر - يا أخي وفقك الله - من شر النظر، فكم أهلك من عابد، وأفسد من شاب وكهل، وتلمَّح معنى قول النبي ﷺ: «النظر سهم مسموم»^(٢). لأن السم يسري إلى القلب فيعمل في الباطن قبل أن يرى عمله في الظاهر، فاحذر من النظر فإنه سبب الآفات إلا أن علاجه في بدايته قريب، فإذا كرر تمكن الشر فصعب علاجه. وأضرب لك في ذلك مثلاً: إذا رأيت فرساً قد حالت براكبها إلى درب ضيق فدخلت فيه ببعض بدنّها ولضيق المكان لا يمكن دخولها، فإن قبل وردّها خطوة إلى ورائها سهل الأمر، وإن توانى حتى ولجت، ثم قام بجذبها بذنّيها طال تعبها وربما لم يتهيأ له.

(١) رواه مسلم: (٢٦٥٧)(٢١).

(٢) رواه الحاكم: (٣٤٩/٤) من حديث حذيفة، والطبراني في الكبير (١٧٣/١٠) عن ابن مسعود، والقضاعي في مسند الشهاب (١٩٦/١) من حديث ابن عمر.

أخي المسلم:

إن فتنة النظر إلى ما حرم الله أصل كل فتنة، ومنجم كل شهوة، فالنظر هو رائد الشهوة ورسولها، وحفظه أصل حفظ الفرج.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب على ابن آدم حظَّهُ من الزنا أدرك ذلك لا محالة: فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه»^(١).

وعنه ﷺ أنه قال لعلي بن أبي طالب: «يا علي، إن لك كنزاً في الجنة، فلا تُتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة»^(٢).

يعني بذلك ﷺ النظرة الأولى وهي نظرة الفجأة من غير قصد ولا تعمد. وهذا خطابه لعلي رضي الله عنه مع علمه بكمال زهده وورعه وعفة باطنه، وصيانة ظاهره، يحذره من النظر، ويؤمنه من الخطر، لئلا يدعي الأمن كل بطال، ويغتر بالعصمة والأمن من الفتنة ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٣).

أخي المسلم:

إن الله عز وجل خلق العينين نعمة منه لك لتنظر بها إلى عظمة الله عز وجل، والتفكر في ملكوت السموات والأرض، والاستعانة بهما على الطاعة، وتدبير أمر معاشك. فاصرفها إلى النظر الحلال، وجنبها مواطن الشبه والحرام، ولا تتهاون بالنظرة.

ليس الشجاع الذي يحمي مطيته
يَوْمَ النِّزَالِ وَنَارُ الْحَرْبِ تَشْتَعِلُ

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٣) ومسلم (٢٦٥٧).

(٢) رواه أحمد: (٣٥١/٥) وأبو داود (٢١٤٩) والترمذي (٢٩٢٧- تحفة) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٣).

لكن فتى غض طرفاً أو ثنى بصرأ
عن الحرام فذاك الفارسُ البطْلُ
أخي المسلم:

في غض البصر عدة فوائد:

الفائدة الأولى: تخليص القلب من ألم الحسرة، فإن من أطلق نظره دامت حسرته.

الفائدة الثانية: أنه يورث القلب نوراً وإشراقاً يظهر في العين وفي الوجه وعلى الجوارح، كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر في وجهه وجوارحه.

الفائدة الثالثة: أن غض البصر يورث سروراً وفرحاً وانشراحاً أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر.

الفائدة الرابعة: أنه يخلص القلب من أسر الشهوة، فإن الأسير هو أسير شهوته وهواه.

الفائدة الخامسة: أنه يسد عنه باباً من أبواب جهنم. وفوائد غض البصر وآفات إرساله كثيرة جداً.

ومما شاع بين الناس كثرة النظر إلى المحرمات في الشاشات وعلى صفحات المجلات، وهي من دواعي الفتنة والشهوة. فليحذر المسلم والمسلمة ذلك وليعلم أنه محاسب على الخطرة والهفوة وعلى التبسم والنظرة. وليحذر مخالفة أمر الله عز وجل فإنه تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٦) وكم سمعنا ورأينا من معصية صغيرة أوقعت في أكبر منها! أليس النظر بريد الزنا؟!

أخي المسلم:

اعلم أن الذنوب قد تكون حجاباً عن الخاتمة الحسنة.
ولهذا كان من شدة ورع السلف وحرصهم على حفظ أبصارهم ما قاله ابن

سيرين رحمه الله: «إني أرى المرأة في المنام فأعرف أنها لا تحلُّ لي، فأصرف بصري عنها».

وقال سفيان وكأنه يحدثنا ويرى واقعنا: عليك بالمراقبة لمن لا تخفى عليه خافية، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء، وعليك بالحدز ممن يملك العقوبة. وصيانةً للقلوب وحفظاً لطهارة النفوس، فقد حذر النبي ﷺ من اتخاذ جميع الوسائل التي تُفضي إلى تحريك الشهوة، والوقوع في الحرام.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها (أي تصفها) لزوجها كأنه ينظر إليها»^(١). فانظر - رعاك الله - كيف نهى عن وصف المرأة المرأة لزوجها صفة امرأة أجنبية، لئلا تسمو همته إليها، لأن الوصف يقوم مقام النظر.

أخي المسلم:

يُروى أنه كان بمصر رجل يلزم مسجداً للأذان والصلاة، وعليه بهاء الطاعة وأنوار العبادة. فرقي يوماً المنارة على عادته للأذان، وكان تحت المنارة دار لنصراني فاطَّلَعَ فيها فرأى ابنة صاحب الدار فافْتَتَنَ بها، فترك الأذان ونزل إليها، ودخل الدار عليها، فقالت له: ما شأنك؟ وما تريد؟ قال: أريدك. قالت: لماذا؟ قال: أتزوجك. قالت: أنت مسلم وأنا نصرانية وأبي لا يزوجني منك، قال: أتنصر، قالت: إن فعلت أفعل. فتنصر الرجل ليتزوجها، وأقام معهم في الدار، فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقي إلى سطح كان في الدار فسقط منه، فمات فلم يظفر بها، وفاته دينه. إنها نظرة يظنها البعض يسيرة بسيطة، ولكنها ساقته إلى أن يترك ملة محمد ﷺ.

قال الشنقيطي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾: فيه

(١) رواه البخاري: (٥٢٤٠) كتاب النكاح: باب لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها.

الوعيد بمن يخون بعينه بالنظر إلى ما لا يحل .

كُلُّ الحَوَادِثِ مَبْدَأُهَا مِنَ النِّظَرِ
ومعظمُ النارِ من مستنصرِ الشررِ
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها
فتت السهام بلا قوسٍ ولا وتر
والمرءُ مآدام ذا عين يُقَلِّبُهَا
في أعين الغيِّد موقوفٌ على خطر
يسرُّ مقلتهُ ما ضرَّ مهجتهُ
لا مرحباً بسرورٍ عَادَ بالضررِ
أخي المسلم:

متع نظرك بقراءة القرآن وأطلق بصرك ليرى عظمة صنع الخالق جل
وعلا، ليكون ذلك في ميزان حسناتك .
واغضض بصرك عما حرم الله، تهناً نفسك وتؤجر على فعلك، وتجِد
حلاوة ذلك في قلبك .
واعلم إن عصيت الله بالنظر المحرم، أنك تعصيه بنعمته التي أعطاك
إياها فاحذر أن يسلبها منك .

جعلني الله وإياكم ممن إذا زلَّ ثاب وتاب، وإذا أخطأ استغفر وعاد،
وحفظ أبصارنا وأسماعنا عما يُغضبه، وغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين .
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الدرس الرابع والثلاثون:

حسن الخلق

الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وترتيبه، وأدب نبينا محمداً ﷺ فأحسن تأديبه، وبعد:

فإن مكارم الأخلاق صفة من صفات الأنبياء والصديقين والصالحين، بها تُنال الدرجات، وتُرفع المقامات، وقد خص الله جل وعلا نبيه محمداً ﷺ بأية جمعت له محامد الأخلاق ومحاسن الآداب، فقال جل وعلا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١).

وحُسن الخلق يوجب التحاب والتآلف، وسوء الخلق يُثمر التباغض والتحاسد والتدابير.

وقد حث النبي ﷺ على حسن الخلق، والتمسك به، وجمع بين التقوى وحسن الخلق، فقال عليه الصلاة والسلام: «أكثر ما يدخل الناس الجنة: تقوى الله، وحسن الخلق» (٢).

وحسن الخلق: طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى عن الناس، هذا مع ما يلزم المسلم من كلام حسن، ومدارة للغضب، واحتمال الأذى.

وأوصى النبي ﷺ عقبه بن عامر بوصية عظيمة فقال: «يا عقبه ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ تصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وتُعطي من حرمك» (٣).

(١) رواه الترمذي (٢٠٧٢- تحفة) وابن ماجه (٤٢٤٦) وأحمد (٢/٢٩١).

(٢) رواه الحاكم: (١٧٨/٤) وأحمد: (٤/١٤٨ و١٥٨) والطبراني: (٢٦٩/١٧) وقال الهيثمي في المجمع (٨/١٨٨ - ١٨٩): «أحد إسنادي أحمد رجاله ثقات».

وتأمل - أخي الكريم - إلى الأثر العظيم والثواب الجزيل لهذه المنقبة المحمودة والخصلة الطيبة، فقد قال ﷺ: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»^(١).

وعدَّ النبي ﷺ حسن الخلق من كمال الإيمان، فقال عليه الصلاة والسلام: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»^(٢).

وعليك بقول رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل، سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في المسجد شهراً»^(٣).

والمسلم مأمور بالكلمة الهيئته اللينة لتكون في ميزان حسناته قال عليه الصلاة والسلام: «والكلمة الطيبة صدقة»^(٤).

بل وحتى التبسم الذي لا يكلف المسلم شيئاً له بذلك أجر قال عليه الصلاة والسلام: «وتبسمك في وجه أخيك صدقة»^(٥).

والتوجيهات النبوية في الحث على حسن الخلق واحتمال الأذى كثيرة معروفة، بل إن سيرته ﷺ نموذجاً يحتذى به في الخلق مع نفسه ومع زوجاته ومع جيرانه ومع ضعفاء المسلمين ومع جهلتهم، بل وحتى مع الكافر، قال

(١) رواه أحمد: (١٣٣/٦) وأبو داود (٤٧٩٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٣٢).

(٢) رواه أحمد (٤٧٢/٢) والترمذي (١١٧٢) تحفة - وقال: «حسن صحيح» وأبو داود: (٤٦٨٢).

(٣) سبق تحريجه في ص (٢١٠).

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٨٩) ومسلم (١٠٠٩).

(٥) رواه الترمذي: (٢٠٢٢) - تحفة وقال: «حسن غريب» وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢٩٠٨).

تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوْا أَعْدِلُوْا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

وقد جُمِعَتْ علامات حسن الخلق في صفات عدة، فاعرفها - أخي المسلم - وتمسك بها. وهي إجمالاً: أن يكون الإنسان كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، براً وصولاً، وقوراً، صبوراً، شكوراً، راضياً، حليماً، رفيقاً، عفيفاً، شفيقاً، لا لعاناً ولا سباباً، ولا نماماً ولا مغتاباً، ولا عجولاً ولا حقوداً ولا بخيلاً، ولا حسوداً، بشاشاً هشاشاً، يحب في الله، ويرضى في الله، ويغضب في الله.

وأصل الأخلاق المذمومة كلها: الكبر والمهانة والدناءة، وأصل الأخلاق المحمودة كلها الخشوع وعلو الهمة: فالفخر والبطر، والأشر والعجب، والحسد والبغي، والخيلاء والظلم، والقسوة والتجبر، والإعراض وإباء قبول النصيحة، والاستئثار وطلب العلو، وحب الجاه والرئاسة، وأن يُحمد بما لم يفعل، وأمثال ذلك، كلها ناشئة من الكبر.

وأما الكذب والخسة، والخيانة والرياء، والمكر والخديعة، والطمع والفرع، والجبن والبخل، والعجز والكسل، والذل لغير الله، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، ونحو ذلك، فإنها من المهانة والدناءة وصغر النفس.

وإذا بحثت عن التقى وجدته

رجلاً يُصدّق قـوله بفعله

وإذا اتقى الله امرؤ وأطاعه

ففيه بين مكارم ومعال

وعلى التقى إذا تراسخ في التقى

تاجان: تاج سكينه، وجهال

وإذا تناسبت الرجالُ فما أرى
نسباً يكون كصالح الأعمالِ
أخي المسلم:

إنها مناسبة كريمة أن تحتسب أجر التحلي بالصفات الحسنة، وتقود نفسك إلى الأخذ بها وتجاهد في ذلك، واحذر أن تدعها على الحقد والكراهة وبذاءة اللسان، وعدم العدل والغيبة والنميمة والشح وقطع الأرحام. وعجبت لمن يغسل وجهه خمس مرات في اليوم مجبياً داعي الله، ولا يغسل قلبه مرة في السنة ليزيل ما علق بها من أدران الدنيا وسواد القلب ومنكر الأخلاق! واحرص على تعويد النفس كتم الغضب، وليهنأ من حولك من والدين وزوجة وأبناء وأصدقاء ومعارف، بطيب معشر، وحلو حديثك، وبشاشة وجهك، واحتسب الأجر في كل ذلك.

وعليك أخي المسلم بوصية النبي ﷺ الجامعة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «أتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخُلُق حسن»^(١).

جعلنا الله وإياكم ممن قال فيهم الرسول ﷺ: «إن أقربكم مني منزلاً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»^(٢).

اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافة الدائمة، اللهم حسن أخلاقنا وجمل أفعالنا، اللهم كما حسنت خلقنا فحسن بمنك أخلاقنا، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) رواه أحمد: (٢٢٨/٥ و٢٣٦) والترمذي (٢٥٣ و٢٥٤ - تحفة) عن أبي ذر ومعاذ وقال عن حديث أبي ذر: «حسن صحيح» والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧).

(٢) رواه الترمذي: (٢٠٨٧ - تحفة) وقال: «حسن غريب»، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٠١).

الدرس الخامس والثلاثون:

سنن قلّ العمل بها

الحمد لله الذي بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

أخي المسلم:

السُّنة: هي ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، والسنة يثاب فاعلها، ولا يعاقب تاركها. ولقد حرص الصحابة رضوان الله عليهم على الأخذ بأوامر الرسول والنهل من معينه ﷺ، روى البخاري في صحيحه^(١) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زيد، وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، فينزل يوماً، وأنزل يوماً، فإذا نزلتُ جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك...».

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يعملون ما يعملهم الرسول ويفعلون ما يفعله، ولم يقولوا هذه سنة لا نعاقب على تركها، بل كانوا يسارعون في الخيرات امتثالاً لقول الرسول ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: يا رسول الله! ومن أبى؟! قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»^(٢).

(١) رواه البخاري: (٨٩) كتاب العلم: باب التناوب في العلم.

(٢) رواه البخاري (٧٢٨٠).

أخي المسلم:

إن موت السُّنن واندثارها، وجهل الناس بها وعدم تطبيقها، علامة علي ظهور البدع وفشوها، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما يأتي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا سنة، حتى تحيا البدع وتموت السُّنن»، وقال ابن القيم رحمه الله: ولو تركت السنن للعمل لتقطعت سنن رسول الله ﷺ ودرست رسومها وعفت آثارها.

ومن سنن المصطفى التي هُجرت أو قل العمل بها:

١- البداية باليمين عند لبس النعل، وباليمنى عند الخلع:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمن، وإذا خلع فليبدأ بالشمال، ولينعلهما جميعاً»^(١).

٢- المحافظة على الوضوء:

عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «استقيموا ولن تُحصوا، واعلموا أن من خير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»^(٢).

٣- السواك:

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب»^(٣)، وقال عليه الصلاة والسلام: «لو لا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»^(٤). ويستحب استعمال السواك في كل وقت، ويتأكد عند: الوضوء، والصلاة وقراءة القرآن، وعند

(١) رواه البخاري (٥٨٥٦) ومسلم (٢٠٩٧).

(٢) رواه أحمد (٢٧٥/٥) وابن ماجه (٢٢٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٥٢).

(٣) رواه أحمد (٤٧/٦) والنسائي (٥/١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٩٥).

(٤) البخاري (٨٨٧) ومسلم (٢٥٢).

الاستيقاظ من النوم، وعند تغير رائحة الفم، وسواء كان مفطراً أم صائماً في أو النهار أو آخره، ويتأكد أيضاً عند دخول المنزل، والسواك سنة مندثرة عند النساء إلا ما رحم ربي، فاحرص - أخي المسلم - على شراء سواك لك ولأهل بيتك حتى تحي هذه السنة العظيمة، ويكون لك أجر ذلك.

٤- صلاة الاستخارة:

عن جابر رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يُعلمنا السورة في القرآن». فاحرص أخي المسلم على هذه الصلاة العظيمة وعلى دعاء الاستخارة المعروف.

٥- المضمضة والاستنشاق من غرفة واحدة:

عن عبدالله بن زيد أن رسول الله ﷺ: «تمضمض من كف واحدة، فعل ذلك ثلاثاً»^(١).

٦- الوضوء قبل النوم، والنوم على جنب الأيمن:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت. واجعلن آخر ما تقول»^(٢).

٧- تخفيف إفطار الصائم عند المغرب ثم يأكل بعد الصلاة عشاءه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يفطر

(١) رواه البخاري (١٩١) ومسلم (٢٣٥).

(٢) رواه البخاري (٦٣١١) ومسلم (٢٧١٠).

قبل أن يُصلي على رطباتٍ، فإن لم تكن رطبات فتميرات، فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء»^(١).

٨- سجود الشكر عند تجدد نعمة أو اندفاع نقمة:

وهو سجدة واحدة مستقلة في أي وقت من الأوقات، فعن أبي بكرة رضي الله عنه «أن النبي ﷺ كان إذا أتاه أمر يسره خسر ساجداً لله شكراً لله تعالى»^(٢).

٩- ترك السهر في الليل والتبكير بالنوم:

إلا إذا كانت هناك مصلحة معتبرة كمدارسة علم، أو معالجة مريض ونحو ذلك، فقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها.

١٠- متابعة المؤذن:

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله بها عليه عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»^(٣).

١١- المسابقة إلى الأذان والتبكير إلى الصلاة والحرص على الصف الأول:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم الناس ما

(١) رواه أحمد (١٦٤/٣) وأبو داود (٢٣٥٦) والترمذي: (٦٩٢ - تحفة) وقال: «حسن غريب»،

والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٩٥).

(٢) رواه أبو داود (٢٧٧٤) والترمذي: (١٦٢٦ - تحفة) وابن ماجه (١٣٩٤) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٠١).

(٣) رواه مسلم: (٣٨٤).

في النداء - أي الأذان - والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير - أي التبكير إلى الصلاة - لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة - أي صلاة العشاء - والصبح لأتوهما ولو حبواً^(١).

١٢- الاستئذان ثلاث مرات:

فإن لم يؤذن للإنسان فإنه يرجع، وكثير من الناس يغضب إذا أتى على غير موعد ولم يؤذن له، وقد يكون لصاحب الدار عذر من مرض أو غيره ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ائْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٢٨)، وقال ﷺ: «الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك، وإلا فارجع»^(٢).

١٣- نفخ الفراش عند النوم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه، فليأخذ داخلة إزاره - أي طرفه - فلينفخ بها فراشه، وليُسَمِّ الله، فإنه لا يعلم ما خلفه بعده على فراشه، فإذا أراد أن يضطجع، فليضطجع على شقه الأيمن، وليقل: سبحانك اللهم ربّي، بك وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»^(٣).

١٤- رقية الإنسان نفسه وأهله:

عن عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنفث عليه بهنّ، وأمسح بيده نفسه لبركتها»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٧٢١) ومسلم (٤٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٤٥) ومسلم (٢١٥٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (٢٧١٤).

(٤) رواه البخاري (٥٧٣٥) كتاب الطب: باب الرقي بالقرآن والمعوذات.

١٥- الدعاء عند لبس الجديد:

عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا استجدَّ ثوباً سماه باسمه، عمامة أو قميصاً أو رداءً، ثم يقول: «اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له»^(١).

١٦- السلام على جميع المسلمين ومنهم الصبيان:

فعن عبدالله بن عمرو أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تُطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»^(٢). وعن أنس رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ مرَّ على غلمان فسَلَّم عليهم»^(٣).

١٧- الوضوء قبل الغسل:

عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه، ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة، ثم يُدخل أصابعه في الماء فيخلل بها أصول شعره، ثم يصب على رأسه ثلاث غرف بيديه، ثم يفيض على جلده كله»^(٤).

١٨- التأمين خلف الإمام ورفع الصوت بها:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إذا أمَّن الإمام فأمَّنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٥). وكان السلف

(١) رواه أبو داود (٤٠٢٠) والترمذي (١٨٢٢) تحفه - وقال: «حديث حسن».

(٢) رواه البخاري (١٢) ومسلم (٣٩).

(٣) رواه مسلم (٢١٦٨).

(٤) رواه البخاري (٢٤٨)، ومسلم (٣١٦).

(٥) رواه البخاري (٧٨٠) ومسلم (٤١٠).

يرفعون أصواتهم بها حتى يرتج المسجد.

١٩- رفع الصوت بالذكر الوارد بعد الصلاة:

في الصحيح^(١): «أن رفع الناس أصواتهم بالذكر بعد الصلاة كان على عهد رسول الله ﷺ». قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «يستحب الجهر بالتسبيح والتحميد والتكبير عقب الصلاة». وهذه السنة انقطعت في كثير من المساجد ولا تفرق بين حال الصلاة وما بعد سلام الإمام، لسكوت المصلين وعدم جهرهم بالأذكار الواردة.

٢٠- اتخاذ السترة في صلاة الغريضة والنافلة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلى أحدكم، فليصل إلى سترة، وليدن منها، ولا يدع أحداً يمر بينه وبينها، فإن جاء أحد يمر فليقاتله فإنه شيطان»^(٢). وعن نافع عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ «كان تركز له الحربة فيصلي إليها»^(٣). ونرى بعض الناس يتهاون في اتخاذ السترة عندما يصلون النوافل.

أخي المسلم:

هذه مجموعة من سنن المصطفى ﷺ، وهناك غيرها لمن أراد السنة وسعي للتمسك بها، وكن - أخي الحبيب - كما قال عبدالرحمن بن مهدي: «سمعت سفيان يقول: ما بلغني عن رسول الله ﷺ حديث قط، إلا عملت به ولو مرة».

(١) رواه البخاري (٨٤١).

(٢) رواه أبو داود (٦٩٨) وابن ماجه (٩٥٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥١).

(٣) رواه البخاري (٤٩٨).

وعن مسلم بن يسار قال: «إني لأصلي في نعليّ، وخلعهما أهون عليّ، وما أطلب بذلك إلا السنة».

قال ابن رجب: «من سار على طريق الرسول ﷺ وإن اقتصد فإنه يسبق من سار على غير طريقه وإن اجتهد».

اللهم اجعلنا ممن يتبع رسولك، ويقتفي أثره، واجمعنا وإياه ووالدينا في روضات الجنات برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السادس والثلاثون:

من أذكار الصلاة

الحمد لله الذي أعان على العبادة ويسرّ، والصلاة والسلام على خير من صلى وصام وأفطر، وبعد:

فإن في طول صلاة القيام مدعاة إلى التفكير وحضور القلب، وتفريغه من أشغال الدنيا الزائلة، وربطه برب الأرض والسموات، وجعله معلقاً بخالقه وبارئه سبحانه وتعالى.

ولقد مدح الله عز وجل أهل الخشوع في الصلاة فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾.

قال ابن كثير: الخشوع هو السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع، والحامل عليه الخوف من الله ومراقبته.

والخشوع هو قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والتذلل، وهو روح الصلاة ومادة حياتها، وهو ثمرة الإيمان وطمأنينة النفس.

ومحل الخشوع - أخي المسلم - في القلب، وثمرته على الجوارح. ولا يحصل هذا الخشوع في الصلاة إلا لمن فرّغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وأثرها على غيرها، وحينئذ تكون راحة له وقرة عين كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «وجعلت قرّة عيني في الصلاة» (١).

أخي المسلم:

ما أتيتَ إلى هذا المسجد إلا طاعة لله عز وجل وامتنالاً لأمره، فما بالك تضيع ذلك بكثرة الحركة والغفلة في الصلاة؟! قال ﷺ: «إن الرجل

(١) رواه أحمد: (١٢٨/٣) والنسائي (٣٩٥٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٤).

لينصرف، وما كُتِبَ له إلا عُشر صلاته، تُسَعِّها، تُثَمِّها، تُبَعِّها، تُدَسِّها، تُحَسِّها، رُبَعها، ثُلُثها، نصفها»^(١).

وثبت عنه ﷺ أنه قال: «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته!» قالوا: يا رسول الله! وكيف يسرق من صلاته؟ قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها»^(٢) وقال عليه الصلاة والسلام في بشارة عظيمة: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها، وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة، وذلك الدهر كله»^(٣).

أخبري المسلم:

وأنت تؤدي الفريضة العظيمة، ثم تعقبها بصلاة التراويح والقيام، أسوق لك كيف كانت صلاة نبي هذه الأمة عليه الصلاة والسلام، وقد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فعن أبي عبد الله حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً: إذا مر بآية فيها تسبيحٌ سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذٍ تعوذ، ثم ركع فجعل يقول: «سبحان ربي العظيم» فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: «سمع الله لمن حمده» ثم قام طويلاً، قريباً مما ركع، ثم سجد، فقال: «سبحان ربي الأعلى»، فكان سجوده قريباً من قيامه»^(٤).

(١) رواه أحمد (٣١٩/٤) وأبو داود (٧٩٦) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٦٢٦).

(٢) رواه أحمد (٣١٠/٥) والحاكم (٢٢٩/١) عن أبي قتادة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٨٦).

(٣) رواه مسلم: (٢٢٨).

(٤) رواه مسلم: (٧٧٢).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل لله تعالى صلاة، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله عز وجل فيها».

ولا تظنّ - أخي المسلم - أن الصلاة مقصورة على أصحاب القوة والنشاط، بل هي أقرب لأصحاب الهمة والعزيمة، ألا ترى الشيخ الكبير كيف يأتي إلى المسجد ويقف أمام الله عز وجل وقد أضعفه المرض وأرهقته السنون؟! إنها حياة القلوب لا حياة الأبدان. فاحرص - وفقني الله وإياك - على صلاة التراويح والقيام واحرص عليهما.

ولما كان طول الصلاة يتسائل الكثير: ماذا أقول وبم أدعو؟ فأسوق للأخ المسلم بعضاً من الأذكار الصحيحة الواردة عن الرسول ﷺ:

أولاً: أذكار الركوع:

«سبحان ربي العظيم» «سبح قدوس رب الملائكة والروح»^(١).
«سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم: اغفر لي» وكان يكثر منه في ركوعه وسجوده^(٢). «اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ونخي وعظمي وعصبي»^(٣). «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة» قال هذا في صلاة الليل^(٤).

ثانياً: أذكار الرفع من الركوع:

«اللهم ربنا ولك الحمد»^(٥) وكان الرسول ﷺ يزيد على ذلك - كما

(١) رواه مسلم: (٤٨٧).

(٢) رواه البخاري (٨١٧) ومسلم (٤٨٤).

(٣) رواه مسلم: (٧٧١).

(٤) رواه أبو داود (٨٧٣) والنسائي (١٩١/٢) (١٠٤٩)، وقال الألباني عن إسناده: «صحيح». في

صفة صلاة النبي ﷺ ص (١٣٣).

(٥) رواه البخاري: (٧٩٥).

روى ذلك مسلم ^(١) - «ملء السموات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»، وتارة يضيف: «حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه» ^(٢).

ثالثاً: أذكار السجود:

«سبحان ربي الأعلى» «سبح قدوس رب الملائكة والروح» ^(٣) «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي» وكان يكثر منه في الركوع والسجود ^(٤). «اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين» ^(٥). «اللهم اغفر لي ذنبي كله؛ دق وجله، وأوله وآخره وعلانيته وسره» ^(٦). «اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك» ^(٧).

رابعاً: الجلوس بين السجدين:

«اللهم اغفر لي وارحمني، واجبرني وارفعني، واهدني وعافني وارزقني؟» ^(٨). «رب اغفر لي، رب اغفر لي» ^(٩).

(١) رواه مسلم: (٤٧٧).

(٢) رواه البخاري: (٧٩٩).

(٣) رواه مسلم: (٤٨٧).

(٤) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

(٥) رواه مسلم: (٧٧١).

(٦) رواه مسلم: (٤٨٣).

(٧) رواه مسلم: (٤٨٦).

(٨) رواه أبو داود (٨٥٠) والترمذي (٢٨٣ - تحفة) وابن ماجه (٨٩٨) وصححه الحاكم (٢٧١/١).

ووافقه الذهبي.

(٩) رواه أبو داود (٨٧٤) والنسائي (٢٣١/٢) وابن ماجه (٨٩٧) وصححه الألباني.

خامساً: أدعية ما بعد التشهد الأخير:

- ١- «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»^(١).
- ٢- «اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم»^(٢).
- ٣- «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»^(٣).

احرص - أخي المصلي - على حضور القلب وخشوع الجوارح وخضوعها لله عز وجل، واستشعر عظمة من تقف أمامه، وابتهل إليه في دعاء صادق، ودموع متصلة وقلب ذليل، أن يجعلك من المقبولين في هذا الشهر العظيم، ولا تبخل على نفسك وأمتك بالدعاء.

جعلني الله وإياك ووالدينا وإخواننا من أهل الفردوس الأعلى، ورزقنا الإخلاص في القول والعمل. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) رواه مسلم (٥٨٨).

(٢) رواه البخاري: (٨٣٤) ومسلم (٢٧٠٥).

(٣) رواه مسلم: (٧٧١).

الدرس السابع والثلاثون:

فوائد إيمانية

الحمد لله مُسدي النعم ومُبعد النقم، جزيل العطايا، وغافر الخطايا،
والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين، وبعد:

فإن تزكية النفوس أمر غفل عنه بعض الناس وتجاهله آخرون، وهذه
وقفات إيمانية وفوائد منتقاة من كلام ابن القيم رحمه الله، فيها إحياء للنفوس
وإيقاظ للقلوب.

قال رحمه الله: الناس في الصلاة على مراتب خمسة.

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه، المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها
ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها،
لكن قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوسوس والأفكار.

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع
الوسوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في
صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها
واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يُضَيِّع شيئاً منها، بل همه كله
مصرف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، وقد استغرق قلبه شأن
الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها وقلبه متعلق بين يدي ربه تعالى

ناظراً ومراقباً وممتلئاً من محبته وعظمته، كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوسواس والخطرات، وهو مشغول في صلاته بربه عز وجل، قرير العين به، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض .
الأول مُعاقب، والثاني مُحاسب، والثالث مُكفّر عنه، والرابع مُثاب، والخامس مقرب من ربه . لأنه جعلت قرّة عينه في الصلاة .

❖ وقال رحمه الله في **مفسدات القلوب**:

ومن مفسدات القلوب :

أولاً: التعلق بغير الله تبارك وتعالى: وهذا أعظم مفسداته على الإطلاق فإنه إذا تعلق بغير الله وكله الله إلى ما تعلق به، وخذله من جهة ما تعلق به، وفاته تحصيل مقصوده من الله عز وجل بتعلقه بغيره . وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا . .

ثانياً: ركوبه بحر التمني: وهو بحر لا ساحل له . وهو البحر الذي يركبه مفاليس العالم . وكما قيل: إن المنى رأس أموال المفاليس . وبضاعة ركابه مواعيد الشيطان وخيالات المال البهتان . والخيالات الباطلة تتلاعب براكبه كما تتلاعب الكلاب بالجيفة .

ثالثاً: الطعام: والمفسد له من ذلك نوعان:

أحدهما: ما يفسده لعينه وذاته كالمحرمات وهي نوعان:

محرمات لحق الله: كالميتة والدم ولحم الخنزير وذئب الناب من السباع والمخلب من الطير . ومحرمات لحق العباد: كالمسروق والمغصوب والمنهوب وما أخذ بغير رضى صاحبه .

والثاني: ما يفسده بقدره وتعدي حدوده: كالإسراف في الحلال والشبع المفرط؛ يثقله عن الطاعات ويشغله بمزاولة مؤنة بطنه ومحاولتها حتي يظفر بها .

رابعاً: كثرة النوم: فإنه يمت القلب، ويثقل البدن، ويضيع الوقت، ويورث الغفلة والكسل.

ومن النوم المكروه عندهم: النوم ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس.
ومن النوم الذي لا ينفع: النوم أول الليل عقب غروب الشمس حتى تذهب فحمة العشاء.

وكان النبي عليه الصلاة يكرهه. فهو مكروه شرعاً وطبعاً.

* وقال رحمه الله في أقسام القلوب:

أقسام القلوب ثلاثة:

أولاً: قلب خالٍ من الإيمان وجميع الخير. وهذا قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوسوس إليه.

الثاني: قلب دخله نور الإيمان، وألقى فيه نوراً، ولكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف من الهوى. فللشيطان عليه إقبال وإدبار، وبينه وبين الشيطان سجال.

الثالث: قلب محشو بالإيمان ومليء بالنور الإيماني. وقد انقشعت عنه حجب الهوى والشهوات. وأقلعت عنه تلك الظلمات، مليء بالإشراق ولو اقترب منه الشيطان لحرقه. فهو كالسماء التي حرس بالنجوم، فلو دنا منها الشيطان يتخطاها، رجم واحترق.

فليست السمااء بأعظم حرمة من المؤمن. وحراسة الله تعالى له أتم من حراسة السمااء. والسمااء متعبد الملائكة ومستقر الوحي. وفيها أنوار الطاعات. وقلب المؤمن مستقر التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان. وفيه أنوارها فهو حقيق أن يحرس ويحفظ من كيد العدو، فلا ينال منه شيئاً إلا خطفه.

ولهذا قيل لابن عباس رضي الله عنه: إن اليهود تزعم أنها لا توسوس

في صلاتها، فقال: «وما يصنع الشيطان بالقلب الخراب؟!»

* وقال رحمه الله في **الذكر والشكر**:

مبني الدين على قاعدتين: الذكر، والشكر، وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (١٥٢).

وقال النبي عليه الصلاة والسلام لمعاذ رضي الله عنه: «والله إني لأحبك، فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك»^(١).

وليس المراد بالذكر مجرد ذكر اللسان بل الذكر القلبي واللساني. وذكره يتضمن ذكر أسمائه وصفاته، وذكر أمره ونهيه، وذكره بكلامه، وذلك يستلزم معرفته والإيمان به، وبصفات كماله، ونعوت جلاله، والثناء عليه بأنواع المدح. وذلك لا يتم إلا بتوحيده. فذكره الحقيقي يستلزم ذلك كله، ويستلزم ذكر نعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه.

وأما الشكر: فهو القيام له بالطاعة، والتقرب إليه بأنواع محابه ظاهراً وباطناً، وهذان الأمران هما جماع الدين، فذكره مستلزم لمعرفته، وشكره متضمن لطاعته، وهذان هما الغاية التي خلق لأجلها الجن والإنس والسموات والأرض، ووضع لأجلها الثواب والعقاب، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل، وهي الحق الذي به خلقت السموات والأرض وما بينهما، وضدهما هو الباطل والعبث الذي يتعالى ويتقدس عنه، وهو ظن أعدائه به.

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾.

(١) رواه أحمد (٢٤٥/٥) أبو داود (١٥٢٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٦٣).

* وقال رحمه الله في آثار الذنوب والمعاصي:

إن الذنوب والمعاصي تضر، ولا بد أن ضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان.

وهل في الدنيا والآخرة شرّ وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي؟ ومن أسبابها:

١ - خروج الأبوين من الجنة، دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور، إلى دار الآلام والأحزان.

٢ - خروج إبليس من ملكوت السماء، وطرده، ولعنه، ومسح ظاهره وباطنه وجعل صورته أقبح صورة.

٣ - غرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء رؤوس الجبال.

٤ - تسليط الريح على قوم عاد حتى ألفتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية.

٥ - أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم.

٦ - رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعاً. ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم.

٧ - أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظُّلل، فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تلظى.

٨ - ما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟

٩ - وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها تدميراً؟

١٠ - وما الذي أهلك قوم صالح بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم؟

١١ - وما الذي بعث على بني إسرائيل قوماً أولي بأس شديد، فجاسوا خلال

الديار وقتلوا الرجال، وسبوا الذراري والنساء، وأحرقوا الديار، ونهبوا الأموال، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية، فأهلكوا ما قدروا عليه وتبرّوا ما علوا تتبيرا؟.

١٢ - وما الذي سلط عليهم بأنواع العذاب والعقوبات، مرة بالقتل والسبي وخراب البلاد، ومرة بجور الملوك، ومرة بمسحهم قردة وخنازير، وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُوءُهُمْ سَوْءَ الْعَذَابِ﴾.

اللهم وفقنا لعمل الخيرات، وأفض علينا من الرحمات، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين والمسلمات. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثامن والثلاثون:

حكم سب: الله - الدين - النبي ﷺ - الصحابة الكرام

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن نعم الله عظيمة، وآلاءه جسيمة، وأعظم النعم قدراً وأجلها منزلة نعمة الإسلام، التي من الله بها علينا وخصنا بها.

ومع الغزو الإعلامي المكثف، وليونة الدين في القلوب؛ ظهر على ألسنة البعض أمرٌ خطيرٌ، ومنكرٌ كبيرٌ هو: سب الله عز وجل، أو الدين، أو النبي محمد ﷺ وأصحابه الكرام.. وفي هذه الورقات بيان لعظم الأمر وخطورته حتى ننصح مَنْ نراه يفعل ذلك ونعلمه موطن الخير، وندله على طريق التوبة.

أخي المسلم: الإيمان بالله مبني على التعظيم والإجلال للرب عز وجل، ولا شك أن سب الله تعالى والاستهزاء به يناقض هذا التعظيم.

قال ابن القيم: «وروح العبادة هو الإجلال والمحبة، فإذا تحلى أحدهما عن الآخر فسدت، فإذا اقترن بهذين الثناء على المحبوب المعظم، فذلك حقيقة الحمد والله أعلم».

والسب كما عرّفه ابن تيمية: «هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف، وهو ما يفهم منه السبّ في عقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم، كاللعن والتقييح ونحوه».

ولا ريب أن سب الله عز وجل يُعد أقبح وأشنع أنواع المكفّرات القولية، وإذا كان الاستهزاء بالله كفرًا سواء استحلّه أم لم يستحلّه، فإن السب كفر من باب أولى.

يقول ابن تيمية: «إن سب الله أو سب رسوله كفر ظاهرًا وباطنًا، سواء كان

السَّابُّ يُعْتَقَدُ أَنْ ذَلِكَ مُحَرَّمٌ، أَوْ كَانَ مُسْتَحْلَلاً، أَوْ كَانَ ذَاهِلاً عَنْ اعْتِقَادِهِ». وقال ابن راهويه: «قد أجمع المسلمون أن من سب الله أو سب رسوله عليه الصلاة والسلام.. أنه كافر بذلك، وإن كان مقراً بما أنزل الله». قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً ٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً ٥٨﴾. فرّق الله عز وجل في الآية بين أذى الله ورسوله، وبين أذى المؤمنين والمؤمنات، فجعل على هذا أنه قد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً، وجعل على ذلك اللعنة في الدنيا والآخرة وأعد له العذاب المهين، ومعلوم أن أذى المؤمنين قد يكون من كبائر الإثم وفيه الجلد، وليس فوق ذلك إلا الكفر والقتل.

قال القاضي عياض: «لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم».

وقال أحمد في رواية عبد الله في رجل قال لرجل: يا ابن كذا وكذا - أعني أنت ومن خلقتك -: «هذا مرتد عن الإسلام تضرب عنقه».

وقال ابن قدامة: «من سب الله تعالى كفر، سواء كان مازحاً أو جاداً».

* سئل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - السؤال التالي: ما حكم سب الدين أو الرب؟ - أستغفر الله رب العالمين - هل مَنْ سَبَّ الدين يعتبر كافراً أو مرتدّاً، وما هي العقوبة المقررة عليه في الدين الإسلامي الحنيف؟ حتى نكون على بينة من أمر شرائع الدين وهذه الظاهرة منتشرة بين بعض الناس في بلادنا أفيدونا أفادكم الله.

فأجاب رحمه الله: «سب الدين من أعظم الكبائر ومن أعظم المنكرات وهكذا سب الرب عز وجل، وهذان الأمران من أعظم نواقض الإسلام، ومن أسباب الردة عن الإسلام، فإذا كان مَنْ سب الرب سبحانه أو سب الدين

ينتسب للإسلام فإنه يكون مرتداً بذلك عن الإسلام ويكون كافراً يستتاب، فإن تاب وإلا قتل من جهة ولي أمر البلد بواسطة المحكمة الشرعية، وقال بعض أهل العلم: إنه لا يستتاب بل يقتل؛ لأن جريمته عظيمة، ولكن الأرجح أنه يستتاب لعل الله يمن عليه بالهداية فيلزم الحق، ولكن ينبغي أن يعزر بالجلد والسجن حتى لا يعود لمثل هذه الجريمة العظيمة، وهكذا لو سب القرآن أو سب الرسول ﷺ أو غيره من الأنبياء فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل، فإن سب الدين أو سب الرسول أو سب الرب عز وجل من نواقض الإسلام، وهكذا الاستهزاء بالله أو برسوله أو بالجنة أو بالنار أو بأوامر الله كالصلاة والزكاة، فالاستهزاء بشيء من هذه الأمور من نواقض الإسلام، قال الله سبحانه: ﴿قُلْ أَيْدِيكُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ لا تعذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴿نسأل الله العافية﴾.

* وسئل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين السؤال التالي: ما حكم الشرع في رجل سبَّ الدين في حالة غضب، هل عليه كفارة؟ وما شرط التوبة من هذا العمل حيث أنني سمعت من أهل العلم يقولون: بأنك خرجت عن الإسلام في قولك هذا، ويقولون: بأن زوجتك حرمت عليك؟

فأجاب فضيلته: «الحكم فيمن سبَّ الدين الإسلامي أنه يكفر، فإن سبَّ الدين والاستهزاء به ردة عن الإسلام وكفر بالله عز وجل وبدينه، وقد حكى الله عن قوم استهزؤوا بدين الإسلام، حكى الله عنهم أنهم كانوا يقولون: إنما كنا نخوض ونلعب، فبين الله عز وجل أن خوضهم هذا ولعبهم استهزاءً بالله وآياته ورسوله وأنهم كفروا به، فقال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَيْدِيكُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ لا تعذروا قد كفرتم بعد إيمانكم. فالاستهزاء بدين الله، أو سبَّ دين الله، أو سبَّ الله ورسوله، أو الاستهزاء بهما، كفر مخرج عن الملة».

واحذر أخي المسلم من مجالسة هؤلاء القوم حتى لا يصيبك إثم، وتحل بدارك العقوبة .

* سئل الشيخ محمد بن عثيمين السؤال التالي :

هل يجوز البقاء لي بين قوم يسبون الله عز وجل؟

فأجاب حفظه الله : « لا يجوز البقاء بين قوم يسبون الله عز وجل لقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ إِذَا مَثَلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ » .

حكم سب الرسول صلى الله عليه وسلم :

للسب منزلة عظيمة في نفوس أهل الإيمان، فقد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وجاهد في الله حق جهاده، ونحن نحب الرسول ﷺ كما أمر، محبة لا تخرجه إلى الإطراء، أو إقامة البدع التي نهى الرسول ﷺ عنها وحذر منها، بل له المكانة السامية، والمنزلة الرفيعة، نطيعه فيما أمر، ونجتنب ما نهى عنه وزجر .

ولنحذر من سب الرسول ﷺ فإن ذلك من نواقض الإيمان، التي توجب الكفر ظاهراً وباطناً، سواء استحل ذلك فاعله أو لم يستحل .

يقول ابن تيمية : « إن سب الله أو سب رسوله كفر ظاهراً وباطناً، سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم، أو كان مستحلاً له، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده » .

والأمر في ذلك يصل إلى حتى مجرد لمز النبي ﷺ في حكم أو غيره، كما قال رحمه الله : فثبت أن كل من لمز النبي ﷺ في حكمه أو قسمه فإنه يجب قتله، كما أمر به ﷺ في حياته وبعد موته .

فاحذر أخي المسلم من هذا المزلق الخطر والطريق السيء، وتجنب ما يغضب الله عز وجل .

سب الصحابة:

الصحابة هم صحابة رسول الله ﷺ ورفقاء دعوته الذين أثنى الله عز وجل عليهم في مواضع كثيرة من القرآن، قال تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ ومن سبهم بعد هذه الآيات فهو مكذب بالقرآن. والواجب نحوهم: محبتهم والترضي عنهم والدفاع عنهم، ورد من تعرض لأعراضهم، ولاشك أن حبههم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، وقد أجمع العلماء على عدالتهم، أما التعرض لهم وسبهم وازدراؤهم، فقد قال ابن تيمية: «إن كان مستحلاً لسب الصحابة رضي الله عنهم فهو كفر».

وقد حذر النبي ﷺ من ذلك بقوله: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحداً أنفق مثل أحدٍ ذهباً، ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه»^(٢).

وسئل الإمام أحمد - رحمه الله - عمَّن يشتم أبا بكر وعمر وعائشة فقال: «ما أراه على الإسلام».

وقال الإمام مالك - رحمه الله -: «مَنْ شتم أحداً من أصحاب محمد ﷺ

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٤٢/١٢) (١٢٧٠٩) من حديث ابن عباس وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٨٥).

(٢) رواه البخاري (٣٦٧٣ - فتح) ومسلم (٢٥٤١) عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -.

الدرس التاسع والثلاثون:

بعض المخالفات الشرعية [١]

الحمد لله العاصم من الفتن، المنجي من المحن، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فإن من تأمل أحوال بعض الناس يجد المخالفات الشرعية منتشرة بينهم حتى استمرأتها بعض النفوس، وظنت أنها حق ولا إثم فيها، ومن تلك المخالفات:

أولاً: الشرك بالله:

هو أعظم المحرمات على الإطلاق لحديث أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثاً)، قالوا: قلنا بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله...»^(١).

وكل ذنب يمكن أن يغفره الله إلا الشرك، فلا بد له من توبة مخصوصة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾. والشرك منه ما هو أكبر مخرج عن ملة الإسلام، صاحبه مخلد في النار إن مات على ذلك.

ومن أنواع هذا الشرك المنتشرة في كثير من بلاد المسلمين: **عبادة القبور** واعتقاد أن الأولياء الموتى يقضون الحاجات، ويُفَرِّجون الكربات، وكذلك الاستعانة والاستغاثة بهم، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾. وكذلك دعاء الموتى من الأنبياء والصالحين أو غيرهم، للشفاعة أو للتخلص من الشدائد، والله يقول: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾.

(١) رواه البخاري (٢٦٥٤) ومسلم (٨٧).

وبعضهم يتخذ ذكر اسم الشيخ أو الولي - مستغنياً به - عادته وديده إن قام وإن قعد وإن عثر، وكلما وقع في ورطة أو مصيبة وكربة فهذا يقول: يا محمد، وهذا يقول: يا جيلاني، وهذا يقول: يا حسين، وهذا يقول: يابدوي، وهذا يقول: يا جيلاني، وهذا يقول: يا شاذلي، وهذا يقول: يا رفاعي، وهذا يدعو العيدروس، وهذا يدعو السيدة زينب، وذلك يدعو ابن علوان، والله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَلُكُمْ﴾ وبعض عبّاد القبور يطوفون بها، ويستلمون أركانها، ويتمسّحون بها، ويقبلون أعتابها، ويُعفّرون وجوههم في تربتها، ويسجدون لها إذا رأوها، ويقفون أمامها خاشعين متذلّلين متضرّعين سائلين مطالبهم وحاجاتهم، من شفاء مريض، أو حصول ولد، أو تيسير حاجة، وربما نادى صاحب القبر: ياسيدي، جئتكَ من بلد بعيد فلا تخينني، والله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْفِتْمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ﴾ وقال النبي ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار»^(١).

وبعضهم يخلقون رؤوسهم عند القبور، وبعضهم يعتقد أن الأولياء يتصرفون في الكون وأنهم يضرّون وينفعون، والله عز وجل يقول: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾.

ولا تجوز الصلاة في المسجد إذا كان فيه أو في ساحته أو قبلته قبر.

ثانياً: الجلوس مع المنافقين أو الفساق استئناساً بهم أو إيناساً لهم:

يعمد كثير من الذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم إلى مجالسة بعض أهل الفسق والفجور، بل ربما جالسوا بعض الذين يطعنون في شريعة الله ويستهزئون بدينه وأوليائه، ولا شك أن هذا عمل محرم يقدر في العقيدة، قال

الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٦٨).

فلا يجوز الجلوس معهم في هذه الحالة وإن اشتدت قرابتهم، أو لطف معشرهم، وعذبت ألسنتهم، إلا لمن أراد دعوتهم أو رد باطلهم أو الإنكار عليهم، أما الرضا أو السكوت فلا، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَلْيَتْرَكُوا لَهَا وَلَا يَرْضَ عَنْ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (٩٦).

ثالثاً: سماع المعازف والموسيقى:

كان ابن مسعود رضي الله عنه يقسم بالله أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هو الغناء^(١). وعن أبي عامر أو أبي مالك الأشعري - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ، قال: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف...»^(٢) وعن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «ليكونن في هذه الأمة خسف وقذف ومسح وذلك إذا شربوا الخمر واتخذوا القينات وضربوا بالمعازف»^(٣).

وقد نهى النبي ﷺ عن الكوبة^(٤) وهي الطبل، ووصف المزمار بأنه صوت أحق فاجر. وقد نص العلماء المتقدمون كالإمام أحمد - رحمه الله - على تحريم آلات اللهو والعزف كالعود والطنبور والشبابة والرباب والصنج، ولا شك أن آلات اللهو والعزف الحديثة تدخل في حديث النبي ﷺ في النهي عن المعازف، وذلك كالكمنجة والقانون والأورج والبيانو والجيتار وغيرها، بل إنها في

(١) تفسير ابن كثير ٦/٣٣٣.

(٢) رواه البخاري معلقاً انظر الفتح (٥٣/١٠).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٠٩ - تحفة) من عمران بن حصين، وأحمد (٢٥٩/٥) عن أبي أمامة

وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٦٧).

(٤) رواه أحمد (٢٧٤/١) وأبو داود (٣٦٩٦).

الطرب والنشوة والتأثير أكبر بكثير من الآلات القديمة التي ورد تحريمها .

رابعاً: شرب الدخان :

مما ابتليت به الأمة في هذا الزمن شرب الدخان، حتى استشرى وعمّ وطمّ. وأسوق في هذا الأمر فتوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين حول شرب الدخان والشيخة فيقول حفظه الله :

«شرب الدخان محرم وكذلك الشيعة، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (٢٩) وقوله : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ . وقد ثبت في الطب أن تناول هذه الأشياء مُضر، وإذا كان مضرًا كان حراماً. ودليل آخر قول تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا ﴾ فنهى عن إتيان السفهاء أموالنا لأنهم يبذرونها ويفسدونها، ولا ريب أن بذل الأموال في شراء الدخان والشيعة تبذير وإفساد لها فيكون منهيًا عنه بدلالة هذه الآية، وفي السنة أن رسول الله ﷺ : «نهى عن إضاعة المال» (١) وبذل الأموال في هذه المشروبات من إضاعة المال، ولأن النبي ﷺ قال : «لا ضرر ولا ضرار» (٢) . وتناول هذه الأشياء موجب للضرر، ولأن هذه الأشياء توجب للإنسان أن يتعلق بها فإذا فقدها ضاق صدره وضائق عليه الدنيا فأدخل على نفسه أشياء هو في غنى عنها» ا.هـ .

ولو استبدلت الدخان وهو معصية، بالسواك وهو طاعة لله عز وجل، وتمسكت بسنة الرسول ﷺ، وحرصت على استعمال السواك - لكان لك في ذلك خير كثير، قال ﷺ : «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب» (٣) . والسواك

(١) رواه البخاري (٢٤٠٨) ومسلم (٥٩٣) .

(٢) رواه أحمد (٣١٣/١) وابن ماجه (٢٣٤٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٥١٧) .

(٣) رواه أحمد (٤٧/٦) والنسائي : (٥/١) عن عائشة رضي الله عنها وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٩٥) .

مشروع في كل وقت، في رمضان وفي غيره، وفي أول النهار وآخره، بخاصة في المواضع التي ورد النص عليها وهي ستة: عند الصلاة، وعند الوضوء، وعند دخول المنزل، وعند الاستيقاظ من النوم، وعند قراءة القرآن وعند تغير رائحة الفهم. فاحرص - أخي المسلم - على إحياء هذه السنة العظيمة وطهّر قلبك وفمك من المعاصي والآثام.

خامساً: تحلي الرجال بالذهب على أي صورة كانت:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً: «أحل لإناث أمتي الحرير والذهب، وحرم على ذكورها»^(١).

وفي الأسواق اليوم عدد من المصنوعات المصممة للرجال من الساعات والنظارات والأزرار والأقلام والسلاسل وما يسمونه بالميداليات بعبارات الذهب المختلفة، أو مما هو مطلي بالذهب طلاء كاملاً، ومن المنكرات ما يعلن في جوائز بعض المسابقات: ساعة ذهب رجالي!!

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ، رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فترعه، فطرحه، فقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده؟! فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ، خذ خاتمك انتفع به قال: لا والله لا أخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ»^(٢).

سادساً: اللعب بالنرد:

تحتوي كثير من الألعاب المنتشرة والمستعملة بين الناس على أمور من المحرمات ومن ذلك النرد (المعروف بالزهر) الذي يتم به الانتقال والتحريك في عدد كثير من الألعاب كالطاولة وغيرها، وقد حذر النبي ﷺ من هذا النرد الذي يفتح المقامرة والميسر فقال: «من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه»^(٣).

(١) رواه الإمام أحمد (٣٩٢/٤) والنسائي (٥١٦٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٩).

(٢) رواه مسلم (٢٠٩٠).

(٣) رواه مسلم (٢٢٦٠).

سابعاً: شهادة الزور:

قال الله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ وعن عبدالرحمن بن أبي بكره رضي الله عنهما عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر» - ثلاثاً - فذكر منها «ألا وقول الزور» قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»^(١).

وتكرار التحذير من شهادة الزور هنا لتساهل الناس بها وكثرة الدواعي إليها من العداوة والحسد ولما يترتب عليها من المفاصد الكثيرة، فكم ضاع من الحقوق بشهادة الزور، وكم وقع من الظلم على أبرياء بسببها، أو حصل أناس على ما لا يستحقون، أو أعطوا نسباً ليس بنسبهم بناء عليها.

ثامناً: بيع النجش:

وهو أن يزيد في السلعة من لا يريد شراءها، ليخدع غيره ويجره إلى الزيادة في السعر، قال ﷺ: «لا تناجشوا»^(٢)، وهذا نوع من الخداع ولاشك، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «المكر والخديعة في النار»^(٣). وكثير من الدالين في الحراج والمزادات ومعارض بيع السيارات كسبهم خبيث لمحرمات كثيرة يقرفونها، منها تواطؤهم في بيع النجش، والتغريب بالمشتري أو البائع القادم وخداعه فيتواطؤن على خفض سعر سلعته، أما لو كانت السلعة لهم أو لأحدهم فعلى العكس، يندسون بين المشتري ويرفعون الأسعار في المزاد يخدعون عباد الله ويضرونهم.

تاسعاً: الديائة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة:

(١) رواه البخاري (٢٦٥٤) ومسلم (٨٧).

(٢) رواه مسلم: (٢٥٦٣) (٣٠).

(٣) البيهقي في شعب الإيمان (٥٢٦٨/٤) وصححه الألباني في (صحيح الجامع ٦٧٢٥).

مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقر في أهله الخبث»^(١).

ومن صور الديانة في عصرنا: الإغضاء عن البنت أو المرأة في البيت وهي تتصل بالرجل الأجنبي يحادثها وتحادثه بما يسمى بالمغازلات، وأن يرضى بخلوة إحدى نساء بيته مع رجل أجنبي، وأن يرضى بخروجهن دون حجاب شرعي ليراهن الغادي والرائح، وكذا جلب الأفلام والمجلات التي تنشر الفساد والمجون وإدخالها البيت.

عاشراً: الخلوة بالأجنبية:

الشیطان حريص على فتنه الناس وإيقاعهم في الحرام ولذلك حذرنا الله سبحانه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾. والشیطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، ومن سبل الشيطان في الإيقاع في الفاحشة الخلوة بالأجنبية، ولذلك سدت الشريعة هذا الطريق، كما في قوله ﷺ: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان»^(٢).^(٣)

اللهم جنبنا المنكرات، واعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم اغفر لنا وارحمنا وتجاوز عن ذلنا وخطئنا، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١٣٤/٢) والحاكم (٧٢/١) والبيهقي (٢٢٦/١٠) عن ابن عمر وصححه الألباني في (صحيح الجامع ٣٠٥٢).

(٢) رواه أحمد (١٨/١) والترمذي (٢٢٥٤ - تحفة) وقال: «حسن صحيح» وقال الشيخ الألباني في المشكاة (٩٣٥/٢): «إسناده صحيح».

(٣) غالب هذه المحرمات مأخوذة من كتاب الشيخ محمد المنجد: «محرمات استهان بها كثير من الناس».

بعض المخالفات الشرعية [٢]

الحمد لله القاهر بقدرته، الظاهر بعزته، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذه بعض المخالفات الشرعية التي يقع فيها بعض الناس، وهي تسع مخالفات تهاون بها البعض رغم حرمتها بنص الآية والحديث ومنها:

أولاً: الإسبال في الثياب:

تهاون كثير من الناس في أمر الإسبال ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم. والإسبال: إطالة اللباس أسفل من الكعبين في ثوب أو مشلح أو بنطلون أو غيره من ملابس الرجال. عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المسبل، المتأن، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»^(١). ومن الناس من يقول: إن إسبالي ليس كبيراً. وهذه تزكية للنفس نهى الله عنها، والوعيد للمسبل عام سواء قصد الكبر أم لم يقصده، قال ﷺ: «ما تحت الكعبين من الإزار ففي النار»^(٢). وإن أسبل خيلاء وكبراً فالعقوبة أشد وأعظم كما قال ﷺ: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»^(٣).

والمرأة ترخي شبراً أو ذراعاً لستر قدميها احتياطاً من انكشافها، ولا يجوز تجاوز الشبر والذراع للنساء.

(١) رواه مسلم: (١٠٦).

(٢) رواه أحمد (٢٥٧/٦) من حديث عائشة رضي الله عنها و(١٥/٥) من حديث سمرة رضي الله عنها وأخرجه البخاري في صحيحه (٥٧٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ «ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار».

(٣) رواه البخاري: (٥٧٩١).

وفي هذا الزمن انقلبت الموازين وعكس البعض حديث الرسول ﷺ؛ فأصبحت المرأة تلبس فوق الكعبين إلى الركبة، والرجل أسبل تحت الكعبين، فالله المستعان.

ثانياً: تصوير ما فيه روح:

من نعم الله التي أنعم علينا الأموال التي يستعملها البعض في معصية الله عز وجل ومخالفة أمره، من أوضح المخالفات تصوير ما فيه روح في الثياب أو الجدران أو الورق أو غيرها، وقد توعد الله عز وجل المصورين بوعيد شديد وعذاب أليم، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون»^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفساً فتعذب في جهنم» قال ابن عباس: «إن كنت لا بد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا روح فيه»^(٢).

واعلم - أيها المسلم - أنك بما تضع من صور على جدران منزلك أو على صدور أبنائك، إنما تمنع دخول الملائكة إلى دارك، فقد قال الرسول ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة»^(٣).

فاستبدل - أخي المسلم - هذه الصور والتمائيل بصور الأشجار والمناظر الطبيعية، واعلم أن أعظم ما يجمل به البيت هو طاعة الله عز وجل والبعد عن معصيته.

ثالثاً: الحلف بغير الله:

جرى على السنة كثير من الناس الحلف بغير الله، والحلف نوع من

(١) رواه البخاري: (٥٩٥٠) ومسلم (٢١٠٩).

(٢) رواه البخاري: (٢٢٢٥) ومسلم (٢١١٠).

(٣) رواه البخاري (٣٣٢٢) ومسلم (٢١٠٦).

التعظيم لا يليق إلا بالله، عن ابن عمر مرفوعاً: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»^(١).
وعن ابن عمر مرفوعاً: «من حلف بغير الله فقد أشرك»^(٢)، وقال عليه الصلاة والسلام: «من حلف بالأمانة فليس منا»^(٣). فلا يجوز الحلف بالكعبة ولا بالشرف ولا بالأمانة ولا بجاه النبي ولا بالآباء.

رابعاً: اللواط:

قال تعالى عن قوم لوط: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(٢٨) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ ﴿وكانت جريمتهم الشنيعة هي إتيان الذكران من الناس، وقد عاقب الله مرتكبيها بأربعة أنواع من العقوبات لم يجمعها على قوم غيرهم وهي: أنه طمس أعينهم، وجعل عاليها سافلها، وأمطرهم بحجارة من سجيل منضود، وأرسل عليهم الصيحة. وعقوبة الفاعل والمفعول به - إذا كان عن رضا منه - القتل، فعن ابن عباس مرفوعاً: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»^(٤).

فاحذر - أخي المسلم - من هذه الفعلية الشنيعة ولا تقربها، وحذر منها، وابتعد عن دواعيها وأسبابها، واحذر سخط الجبار.

خامساً: مصافحة المرأة الأجنبية:

-
- (١) رواه البخاري: (٦٦٤٦).
(٢) رواه أحمد: (١٢٥/٢) والترمذي (١٥٧٤ - تحفة) وقال: «حديث حسن»، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٦٢٠٤).
(٣) رواه أبو داود: (٣٢٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٠٣).
(٤) رواه أحمد: (٣٠٠/١) وأبو داود (٤٤٦٢) والترمذي (١٤٨١ - تحفة) وابن ماجه (٢٥٦٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٨٩).

طغت بعض التقاليد والأعراف الاجتماعية علي شريعة الله عز وجل في بعض المجتمعات، ومما عم وطم انتشار مصافحة الرجال للنساء القريبات من بنات عم أو خال أو زوجة الأخ أو غيرهن، والرسول ﷺ وحديثه فوق التقاليد المخالفة لهذا الدين، يقول الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام: «لَأَنْ يَطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخْطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لَا تَحِلُّ لَهُ»^(١).

ولا يتعذر أحد بأن هذه المرأة قريبتني، وأنها بمنزلة أختي، وأن قلوبنا طاهرة، فهذا سيد ولد آدم يقول: «إني لا أصافح النساء»^(٢). وتأمل في أمر المبايعة وعظم شأنها في الإسلام ومع هذا لم يبايع الرسول ﷺ النساء إلا بالكلام، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «ولا، والله مامست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط، غير أنه يبايعهن بالكلام»^(٣).

سادساً: أكل الربا:

حرم الله أكل الربا وعده من كبائر الذنوب وتأذن أهله بالحرب، فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَقَدْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أكل الربا ومن شارك في إتمام هذه الصفقة الخاسرة، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ أكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه» وقال: «هم سواء»^(٤).

(١) رواه الطبراني في الكبير: (٤٨٦/٢٠) عن معقل بن يسار وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٤٥).

(٢) رواه أحمد (٣٥٧/٦) والترمذي (١٦٤٥ - تحفة) وقال: «حسن صحيح»، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥١٣).

(٣) رواه البخاري (٢٧١٣) ومسلم (١٨٦٦).

(٤) رواه مسلم (١٥٩٨).

ومن فحش الربا وبيان قبحه، مارواه ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «الربا ثلاثة وسبعون باباً، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه»^(١). وإن كان رغبة المرابي في زيادة ماله ونمائه فقد خاب وخسر بنص حديث الرسول ﷺ حيث قال: «الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قل»^(٢).

سابعاً: أخذ الرشوة وإعطاؤها:

شاع بين كثير من الناس أخذ الرشوة وإعطاؤها وسموها بأسماء أخرى تزييفاً وتحسيناً، والأصل بقاء الحرمة وإن تغير المسمى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «لعن الله الراشي والمرشي في الحكم»^(٤). وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لعنة الله على الراشي والمرشي»^(٥).

فاحذر - أخي المسلم - أن يدخل جوفك حرام فإن الرسول ﷺ يقول: «كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به»^(٥).

ثامناً: المماطلة في أداء الحقوق:

يتصور بعض الجهال أن المماطلة والتسويق أو أكل أموال الناس من الدهاء والذكاء، وما علم أن في ذلك محقاً لبركة ماله وحسناته، فقد توعد الله عز وجل من استأجر أجيراً ولم يوفه حقه على لسان نبيه حيث قال ﷺ: «قال

(١) رواه الحاكم (٤٣/٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٣٩).

(٢) رواه الحاكم (٣٥٣/٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٤٢).

(٣) رواه أحمد (٣٨٧/٢).

(٤) رواه ابن ماجه (٢٣١٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١١٤).

(٥) رواه أحمد (٣٢١/٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٩).

الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرّاً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره»^(١).

وكثير يبخس الناس حقوقهم ولا يعطيهم مستحقاتهم كاملة، وقد حذر الله عز وجل من تلك الخصلة الذميمة فقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

فاحذر - أخي المسلم - أن يقودك الشح والبخل إلى نار جهنم، واعلم أن الدنيا دار عمل ولا حساب، وأن الآخرة حساب ولا عمل، فاستعد، واحذر أن يأخذك الله على حين غفلة من أمرك.

تاسعاً: أذية الجار:

شاع بين ضعاف النفوس وسفلة القوم الإساءة إلى الجار ومضارته. ومع كثرة الأمور المادية وطغيانها على البعض، تناسى الكثير حقوق الجار وعظم حقه، فقد أوصى الله عز وجل بالجار من فوق سبع سماوات فقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾.

وقال عليه الصلاة والسلام: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»^(٢). وقد حذر الرسول ﷺ من إيذاء الجار فقال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: من يارسل الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»^(٣). وإيذاء الجار له صور متعددة منها: فتح النوافذ على بيته، والنظر إليه، وتتبع نسائه.

(١) رواه البخاري (٢٢٢٧).

(٢) رواه البخاري (٦٠١٤) ومسلم (٢٦٢٤).

(٣) رواه البخاري (٦٠١٦) من حديث أبي شريح، ومسلم من حديث أبي هريرة بلفظ: «لا يدخل الجنة...».

والذنب يعظم إذا ارتكب في حق الجار ويضاعف إثم صاحبه، كما قال النبي ﷺ: «لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره، لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره»^(١).
فعليك - أخي المسلم - بحسن الجوار والتلطف مع جارك والإحسان إليه وتحمل زلته وهفوته، وكن شهماً كريماً محسناً، واحرص على دعوته إلى الخير، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.

عاشراً: حلق اللحية:

لحديث الرسول ﷺ واقع ملموس وشاهد محسوس: «لتبتعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم» قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»^(٢). واتجه البعض من الناس إلى مخالفة أمر الرسول ﷺ ومتابعة أهل الكفر في حلق اللحية، والرسول نهى عن ذلك في أحاديث كثيرة منها ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خالفوا المشركين، وقفروا اللحى، وأحفوا الشوارب»^(٣). واللحية اسم للشعر النابت على الخدين والذقن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من فطرة الإسلام أخذ الشارب وإعفاء اللحى»^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: يحرم حلق اللحية. وقال القرطبي: لا يجوز حلقها ولا نتفها ولا قصها.

فاحذر - أخي المسلم - مخالفة أمر الرسول، والله عز وجل يقول:

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٠٣) وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري (٧٣٢٠) ومسلم (٢٦٦٩).

(٣) رواه البخاري (٥٨٩٢) ومسلم (٢٥٩).

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه (٢٣/٤) (١٢٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .
اللهم وفقنا لما تحب وترضى، اللهم أصلح أحوال المسلمين ورُدَّ
ظالمهم، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين .

الدرس الأربعون:

وقفات للمرأة المسلمة وبعض مخالقاتهن [١]

الحمد لله الذي أكرم المؤمنات وخصَّهن بأعلى الدرجات، والصلاة والسلام على نبي الهدى والمكرمات، وبعد:

فأحمدي الله عز وجل أختي المسلم على أن بلغك هذا الشهر العظيم، وتذكري من صام معك العام الماضي، وأحمدي الله عز وجل أن متعك بالصحة والأمن، وأعلمي أن النساء شقائق الرجال، فما ثبت للرجال ثبت للنساء إلا بدليل. فيجب عليهن الصوم، ويستحب لهن المسارعة في الخيرات، وبذل الصدقات، والحرص على الطاعات.

وهذه وقفات سريعة للأخت المسلمة:

الوقفة الأولى:

احذري الأسواق فإنها أماكن الفتن والصد عن ذكر الله قال رسول الله ﷺ: «أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها»^(١).

ولا يكن هذا الشهر وغيره سواء. واحذري أن تلحقك الذنوب في هذا الشهر العظيم بسبب رغبة شراء فستان أو حذاء، فاتقي الله في نفسك وفي شباب المسلمين، وما يضيرك لو تركت الذهاب إلى الأسواق في هذا الشهر الكريم وتقربت إلى الله عز وجل بهذا الترك. قال عبدالله بن مسعود: «ما تقربت امرأة إلى الله بأعظم من قعودها في بيتها». وكانت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - تقرأ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ فتبكي حتى تبل خمارها.

(١) رواه مسلم: (٦٧١).

الوقفه الثانية:

العمرة فضلها عظيم، في رمضان يتضاعف هذا الفضل، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما رجع من حجة الوداع قال لامرأة من الأنصار اسمها أم سنان: «ما منعك أن تحجي معنا؟» قال: أبوفلان [زوجها] له ناضحان حج على أحدهما والآخر نسقي عليه، فقال لها النبي ﷺ: «إذا جاء رمضان فاعتمري فإن عمرة فيه تعدل حجة».. أو قال: «حجة معي»^(١).

وإلى كل معتمرة باحثة عن الأجر وهي مجانبة للطريق أربأ بها أن يجتمع عليها في بلد الله الحرام، حرمة الشهر، وحرمة المكان، وحرمة الذنب. فتكون عمرتها طريق إلى الإثم والمعصية من حيث لا تدري وترجع مأزورة غير مأجورة!!

وإن يسر الله لك العمرة، فتجنبني مواطن الزلل، وعثرات الطريق، واخرجني محتشمة بعيدة عن أعين الرجال غاضة الطرف، لابسة الحجاب الشرعي، مبتعدة عن لبس النقاب، ومس العطور، واخرجني لبيت الله الحرام وأنت مستشعرة عظمة هذا البيت وعظم خالقه عز وجل، وتذكرني أن الحسنات تُضاعف فيه كما أن السيئات تضاعف فيه أيضاً.

الوقفه الثالثة:

لقد فتح الله عز وجل لنا أبواب الخيرات وفاضت الأرزاق بيد الناس، فاحرصي - وفقك الله - على الصدقة بما تجود به نفسك من مال ومأكل وملبس، وقد مدح الله عباده المتقين ووصفهم بعدة صفات فقال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ

(١) أخرجه البخاري (فتح - ١٧٧٣) ومسلم (١٣٤٩).

لِّلَسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ» .. وفي هذا الشهر تستطيعين أن تجمعي هذه الأعمال الفاضلة من قيام ليل واستغفار وصدقة في كل يوم. وقد حث النبي ﷺ على الصدقة بقوله: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»^(١). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» .. وذكر منهم: «رجلاً تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»^(٢). وقد أنفق بعض الصحابة أموالهم كاملة في سبيل الله وبعضهم نصف ماله، فلا يُبخلنك الشيطان ويصدك عن الصدقة بل سارعي إليها .. وهذا نداء خاص لك أختي المسلمة قال رسول الله ﷺ: «يامعشر النساء تصدقن، وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار»^(٣).

الوقفه الرابعة:

في شهر رمضان فرصة مناسبة لمراجعة النفس ومحاسبتها وملاحظة تقصيرها فإن في ذلك خيراً كثيراً. قال رسول الله ﷺ: «إنما الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني»^(٤).

وكان الحسن يقول: رحم الله رجلاً لم يغره كثرة ما يرى من الناس ابن آدم: إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك.

(١) رواه البخاري (١٤١٣) ومسلم (١٠١٦).

(٢) رواه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١).

(٣) رواه البخاري (٣٠٤) من حديث أبي سعيد الخدري، ومسلم (٨٠)، ورواه مسلم أيضاً من حديث ابن عمر (٧٩).

(٤) رواه الترمذي (٢٤٥٩) وقال: «حديث حسن» ورواه ابن ماجه (٤٢٦٠) والحاكم (١٢٥/١).

وقال ابن عون: لا تثق بكثرة العمل فإنك لا تدري أيقبل منك أم لا؟ ولا تأمن ذنوبك فإنك لا تدري أكفر عنك أم لا؟ إن عملك مغيب عنك كله.

الوقفه الخامسة:

تضيق أوقات فاضلة في هذا الشهر العظيم من أجل طبخ ونفخ، يكفي أمة وليس أسرة، وبعض الأخوات المسلمات تظن أن السباق والمثابرة في هذا الشهر العظيم هو في التفتن في الطبخ، وتقديم أصناف الأطعمة. ولاشك أن ذلك إضاعة لوقتها، وإرهاق لجسمها، وإخلال في أوقات عبادتها. وعليها أن تطبخ القليل فإن فيه بركة، وتتعبد الله عز وجل بهذا الجهد فهو لخدمة الزوج والأبناء، أو لإطعام الصائمين، ولتبتعد عن المباهاة وتضييع الأوقات في ذلك. وكثير من النساء تقف نصف النهار في المطبخ ولا تقرأ القرآن، ثم إذا أقبل الليل فإذا بها مرهقة متعبة فيقصر بها الجهد عن صلاة القيام! وأذكر أختي المسلمة بسماع إذاعة القرآن الكريم حال وجودها في المطبخ وفي غيره، واستفيدي من هذا الخير العظيم ودلي عليه غيرك.

الوقفه السادسة:

التوبة: كلمة نرددها ونسمعها، ولكن القليل من يطبقها.. حتى أنه - والعياذ بالله - قد استمرأت بعض النفوس المنكر، فترى بعض النساء تُقدِّم على فعل المحرمات المنهي عنها بلا مبالاة، مثل سماع الموسيقى والمعازف والنمص.. وكذلك رؤية الرجال على الشاشات، وإضاعة الأوقات فيما هو محرم.. فحري بالمسلمة أن تكون ذات توبة صادقة، قارئة القول بالفعل. قال الله تعالى حاثاً على التوبة ولزوم الأوبة.. ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.. وقال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ .. وقال رسول الله ﷺ: «كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»^(١). فسارعي أختي المسلمة إلى التوبة من جميع الذنوب والمعاصي، وافتحي صفحة جديدة في حياتك، وزينها بالطاعة، وجعلها بصدق الالتجاء إلى الله عز وجل، وحاسبي نفسك قبل أن تحاسبي.. ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾^(٢) إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ^(٣) وتذكري حالك إذا غُسِلَتِ بسدر وحنوط، وكفنتِ بخمسة أثواب هي كل ما تخرجين به من زينة الدنيا!!

يَا لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ أَنْتِ إِذَا
غُسِلْتَ بِالْكَافُورِ وَالسُّدْرِ
أَوْ لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ أَنْتِ عَلَى
نَبْشِ الضَّرِيحِ وَظِلْمَةِ الْقَبْرِ!!

أختي المسلمة:

قد أذن الشارع الحكيم لك بالصلاة في المسجد في قوله ﷺ: «إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها»^(٢). وتشبهي بنساء الصحابة فقد كانت المرأة تلصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به.. وكل ذلك تقرباً إلى الله، وابتعاداً عن الفتنة، وامثالاً لقول الرسول ﷺ: «استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق»^(٣).

وإن للمساجد آداباً فتذكرها:

١ - الدخول بتقديم الرجل اليمنى وقول: «بسم الله، اللهم صل على

(١) رواه الترمذي (٢٤٩٩) والحاكم (٢٧٢/٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٥).

(٢) رواه البخاري (٨٦٥) ومسلم (٤٤٢).

(٣) أبو داود (٥٢٧٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٢٩).

محمد، اللهم افتح لي أبواب رحمتك». وعند الخروج تقدم الرجل اليسرى ويقال: «بسم الله، اللهم صل على محمد، اللهم إني أسألك من فضلك»^(١).

٢ - من السنة صلاة ركعتين قبل الجلوس تحية المسجد كما قال ﷺ «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس»^(٢).

٣ - احترام المساجد وعدم العبث بها، أو رمي الأقدار والأوساخ فيها، والواجب تنظيفها وتطيبها والعناية بها أكثر من عنايتنا ببيوتنا وأماكننا، فعن عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ أمر ببناء المساجد في الدور، وأمر بها أن تنظف وتطيب»^(٣). وأماكن النساء لا تطيب حتى لا يعلق بهن رائحة عطر ثم يخرجن أمام الرجال.

٤ - تسوية الصفوف وسد الفرج: ومن النساء من لا تهتم بهذا الأمر ولا تعطيه أهمية، فتجد صفوف النساء متعرجة ومتفككة، وكأن الأمر في ذلك مقتصر على الرجال دون النساء. قال ﷺ: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟ فقلنا: يارسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: يتمون الصفوف الأول، ويتراصون في الصف»^(٤).

٥ - عدم التشويش ورفع الأصوات: بعض النساء يأتين للمسجد للصلاة وتضع الأوقات بين الركعات في أحاديث جانبية، وربما ارتفعت أصواتهن لتصل إلى الرجال، وبعض النساء يأتين للمسجد للتعرف والممازحة والطرقة والنكتة.

(١) رواه مسلم (٧١٣) وغيره.

(٢) رواه البخاري (٤٤٤) ومسلم (٧١٤).

(٣) رواه أحمد (٢٧٩/٦) والترمذي (٥٩٤) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٥).

(٤) رواه مسلم (٤٣٠).

أتيت أيها الأخت المسلمة طاعة الله عز وجل فاحذري أن تعصيه وتخالفي أمره، فإن على المسلمة أن تكون متسترة، متحجبة، غير متبرجة، ولا متطيبة، ولا رافعة صوتاً، ولا مبدية زينة. لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أي لكن ما ظهر منها فلا يمكن إخفاؤه وهي الجلباب والعباءة ونحوهما، ولأن النبي ﷺ «لما أمر النساء بالخروج إلى الصلاة يوم العيد قالت أم عطية: يارسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب قال: لتلبسها أختها من جلبابها»^(١).

اللهم احفظ نساء المسلمين وقِهِنَّ التبرج والسفور، اللهم بارك في أعمالنا وأعمالهن، واجعلنا جميعاً من عبادك الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، اللهم وفقهن لتربية الأبناء على الوجه الذي يرضيك، وضاعف لهن الأجر على ذلك.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولأزواجنا وذرياتنا. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) رواه البخاري (٣٢٤) ومسلم (١٩٠).

وقفات للمرأة المسلمة وبعض مخالفاتهن [٢]

الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين، وجعله بقدرته في قرار مكين،
والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين، وبعد:

فهذه وقفات سريعة لبعض المخالفات التي تقع فيها بعض النساء،
ولخوف العقاب من الله عز وجل ذكرناها تنبيهاً لابنة الإسلام عِلى الله، أن ينفع
بها وتجد من الأخوات المسلمات آذناً صاغية، وقلوباً واعية، ومن تلك
المخالفات:

أولاً: تأخير الصلوات عن وقتها كصلاة العشاء بسبب وضع المكياج
والمساحيق عند الخروج من البيت والتأخر في العودة إلى المنزل مما يسبب التأخر
في النوم؛ ومن ثم قد لا تُصلي صلاة الفجر إلا بعد طلوع الشمس وهذه من
صفات المنافقين. قال ﷺ: «إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا
لي: انطلق، وإني انطلقت معهما، وإنّا أتينا على رجل مضطجع ورجل قائم
على رأسه بيده صخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ^(١) رأسه
فيتدهده^(٢) الحجر هاهنا فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصبح رأسه
كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل به المرة الأولى، قال: قلت لهما:
سبحان الله ما هذان؟... قالوا لي: أما إنّ سنخبرك، أما الرجل الأول الذي
أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة
المكتوبة^(٣). هذا يا أختاه لمن يؤخر الصلاة وينام عنها فما هو حال من لا

(١) يشدخ به رأسه ويحطمه أجزاء صغيرة متناثرة.

(٢) يتدحرج.

(٣) رواه البخاري: (٧٠٤٧).

يصلّيها؟! وفي المقابل جعل الله سبحانه وتعالى الجنة ثواباً لمن حافظت على الصلاة. قال ﷺ: «إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصّنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أيّ أبواب الجنة شئت»^(١).

ثانياً: عدم قضاء المرأة للصلاة التي دخل وقتها ولم تقم بأدائها بسبب نزول دم الحيض أو النفاس منها؛ فالواجب أن تقضيها فور طهرها. وكذلك يجب على المرأة إذا طهرت في وقت صلاة العصر أن تصلي الظهر والعصر جميعاً لأن وقتها واحد في حق المعذور كالمريض والمسافر، وهي معذورة بسبب تأخر طهرها. وهكذا في وقت العشاء إذا طهرت وجب عليها أن تصلي المغرب والعشاء جميعاً، كما أفتى بذلك سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله -.

ثالثاً: عدم الاهتمام بإخراج زكاة المال والحلي التي تملكها المرأة إذا حال عليها الحول وبلغ النصاب، والواجب أن تزكي المرأة عن حليها سواء ما تلبسه أو ما تكتزّه كما أفتى بذلك سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - وفضيلة الشيخ محمد بن عثيمين - يحفظه الله - ونفع بعلمهما مع أن المسألة فيها خلاف بين العلماء.

ثم إن الزكاة ركن من أركان الإسلام ودعائمه التي يقوم عليها، وقد توعد الله سبحانه وتعالى من لم يخرجها بالعذاب الأليم، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْزُرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٢) يَوْمَ يُخْمَلُ عَلَىٰ نَارٍ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْزُرُونَ﴾^(٣).

واحذري أن تبقي ذهباً بذهب مع إضافة أجرة التصنيع فإنه ربا،

(١) رواه ابن حبان (٤٧١/٩) (٤١٦٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٦٠).

والطريق السليم في هذا أن يُباع الذهب الكسر بثمان من غير مواطأة ولا اتفاق، وبعد أن يقبض صاحبه الثمن فإنه يشتري الشيء الجديد، والأفضل أن يبحث عن الشيء الجديد في مكان آخر، والمهم أن لا تقع المبادلة بين ذهب وذهب مع دفع الفرق ولو كان ذلك من أجل الصناعة.

رابعاً: السكوت عن الزوج والأولاد الذين لا يُصلون وعدم النصيح لهم والإنكار عليهم، واعلمي - أختي المسلمة - أن من ترك الصلاة عامداً فقد كفر، ويُعدّ مرتداً عن الإسلام والمرتد له أحكام: منها أنه يفسخ عقد زواجه من امرأته ويكون استمتاعه بها استمتاعاً بامرأة أجنبية عنه وأولاده منها أولاداً غير شرعيين، فكيف ترضين بالعيش مع من ترك الصلاة وتهاون بها؟!!

خامساً: عدم اهتمام الأم بمتابعة بناتها؛ حيث إن البنت قد تبلغ ويخرج منها دم الحيض ولا تأمرها أمها بالصلاة والصيام وبقية الواجبات المفروضة عليها، كما وأن بعض الأمهات يتهاون في لباس البنت لباساً ساتراً حتى تترى وتتعود على قلة الحشمة والحياء.

سادساً: الخروج من البيت متبرجة، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾.

ومن صور التبرج: كشف الوجه، وضع غطاء شفاف على الوجه، لبس الملابس الضيقة أو المفتوحة أو القصيرة (ومنها ما يسمى بالشانيل وما شابهه)، أو لبس الملابس الشفافة، أو ذات الفتحات الواسعة من جهة الصدر سواءً عند الخروج من البيت أو أمام المحارم غير الزوج؛ مما قد يؤدي إلى افتتان الرجال بمحارمهم، وعدم لبس القفازات والجوارب الساترة لليدين والقدمين، لبس الكعب العالي، لبس العباءة المطرزة أو المزركشة أو القصيرة، وضع العباءة على الكتف، ولبس البنطلون أمام النساء أو المحارم وهذا كله لا يجوز. وتنتشر هذه الصور من التبرج في حفلات الزواج والأسواق

والمستشفيات والمدارس وأثناء الخروج لزيارة الأقارب وغيرهم.

سابعاً: متابعة الموضة في اللباس والتسريحات والعطور والمساحيق والاهتمامات النسائية وهذا ضعف في الشخصية وفقدان للهوية، بل إنها قد تصرف على ذلك أموالاً كثيرة، وكذلك اقتناء المجلات التي تسمى بالبورصات وغيرها التي تحمل في طياتها الصور المحرّمة، وأيضاً الموديلات والأزياء الكافرة التي تحث على التعرّي والتخليّ عن الحجاب الشرعي وما يستر المرأة سترًا كاملاً، والسير خلف هذه المجلات وما تحمله من الشرور يجعل الكثير من النساء المسلمات يقعن في محاذير شرعية كثيرة، منها تقليد الكافرات فيما يلبسن من الملابس الفاضحة والضيقة والشفافة، وهذا هو أحد تفاسير قول الرسول ﷺ: «يا رُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة»^(١). وكذلك قد تقع المرأة المسلمة في تقليد الكافرات في كيفية تسريح الشعر وقصّه^(٢) حيث تذهب إحداهن إلى الكوافيرات حتى يفعلن لها تلك القصات الدخيلة علينا من الغرب والشرق، قال ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات»^(٣) رؤوسهنّ كأسنمة البُخت المائلة^(٤) لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»^(٥). ثم تذكري أختي المسلمة يا من تحرصين على أن تظهري بأجمل المظاهر وأحسنها أمام زميلاتك حتى يقال عنك: إنكِ ذات مظهر حسن، وذوق رفيع في اختيار الملابس والموديلات،

(١) رواه البخاري: (١١٢٦).

(٢) لا بأس بقص الشعر بإذن الزوج للترين له ما لم يكن فيه تشبه بالرجال أو الكافرات فإنه يحرم.

(٣) مائلات عن طاعة الله ويعلمن غيرهن فعلهن المذموم.

(٤) الإبل الطويلة العنق.

(٥) رواه مسلم (٢١٢٨).

والقَصَّات، أنك لن تخرجي من هذه الدنيا إلا بكفن، وستتركين خلفك كل ما أسرفت في تفصيله وحرصت على شرائه وامتلاكه من الملابس وغيرها.

ثامناً: تعليق الصور المجسمة وغير المجسمة على الجدران أو وضعها على الرفوف، وكذلك اقتناء الألعاب المجسمة للأطفال، وهذا منكر عظيم تهاون به كثير من الناس. قال ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة»^(١).

تاسعاً: التقليل من الإنجاب والسعي لتحديد النسل لغير ضرورة كمرض أو عجز عن التربية؛ مما يؤدي إلى نقص الأمة الإسلامية. وقد قال ﷺ: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم»^(٢). ولماذا الخوف والتقليل من الإنجاب؟ أتحشِن الفقر أو تحشِن ألا تحدي لهم ما يأكلونه ويشربونه؟ إن الذي رزقك سيرزقهم، والذي أطعمك وسقاك سيُطعمهم ويسقيهم، قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ أو قد يكون السبب في ذلك هو الخوف على فساد البدن والجمال والرشاقة كما يُشيع ذلك أعداء الأمة الإسلامية، ثم تذكرى - يا أختاه - أن ابن آدم إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث، منها ولد صالح يدعو له، فإن كان لك عدد من الأولاد وسعيت في تربيتهم وتعليمهم الدين الإسلامي فإنك ستجني ثمرة هذا العمل في المستقبل، قال ﷺ: «خيرُ نساءكم الولود الودود، المواسية»^(٣)، المواتية^(٤) إذا اتقن الله، وشرُ نساءكم المتبرجات والمتخيلات، وهن المنافقات لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم^(٥)»^(٦).

(١) رواه البخاري (٥٩٤٩) ومسلم (٢١٠٦).

(٢) رواه أبو داود (٢٠٥٠) والنسائي (٦٠/٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٤٠).

(٣) التي تعين زوجها على أمر دينه ودنياه.

(٤) التي تطيع زوجها فيما يأمرها به في غير معصية الله.

(٥) أحر المناقير والرجلين، وهو كناية عن قلة من يدخل الجنة من هذا النوع من النساء.

(٦) رواه البيهقي (٨٢/٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٣٠).

عاشراً: بيتك هو دوحتك الصغيرة التي تستظلين فيها من هجير هذه الدنيا، فاحرصي على أن يكون بيتك بيتاً إسلامياً، واحرصي على طاعة زوجك والتودد إليه وعدم تحميله ما لا يطيق ولا تجحدي معروفه، وعليك بالبشاشة في وجهه وقضاء حاجته، وتفقد أكله وشربه وراحته، فإن حق الزوج عظيم وإنما هو جنتك ونارك، عن عمة حصين بن مُحْصَن، قالت: «أتيت رسول الله ﷺ في بعض الحاجة، فقال: أي هذه! أذات بعل؟ قلت: نعم، قال: كيف أنت له؟ قالت: ما آلوه (أي لا أقصر في طاعته وخدمته) إلا ما عجزت عنه، قال: أين أنت منه؟ فإنما هو جنتك ونارك»^(١).

وعليك - أختي المسلمة - بالاقتصاد في أمر البيت، وعدم الإسراف والتبذير، فإنك مسؤولة عن ذلك، كما قال عليه الصلاة والسلام: «والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها»^(٢). واحترمي مشاعر زوجك وأحسني معاشرته تفوزي بخيري الدنيا والآخرة.

اللهم اهد نساء المسلمين، وجنبهن التبرج والسفور، وأفض عليهن من رحمتك ومغفرتك، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) رواه أحمد (٣٤١/٤) والنسائي في عشرة النساء (٧٦) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٥٠٩).

(٢) رواه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩).

وقفات للمرأة المسلمة وبعض مخالقاتهن [٣]

الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور، والصلاة على البشير النذير محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن المرأة المسلمة هي ركيزة البيت المسلم والأسرة السعيدة، وكثيراً ما تقع في بعض المحرمات جهلاً أو غفلة أو محاكاة للغير، وحيث إن الإنسان مجازى بعمله ولا ينفعه أحد من أهل الأرض، نسوق للمسلمة المصلية العابدة بعضاً من المخالقات التي ندعو الله عز وجل أن تلقى جانباً وتحذر منها وتتوب إلى الله من العودة إليها وتحذر منها ومن تلك المخالقات:

أولاً: عدم الاهتمام بتربية الأولاد تربية إسلامية سليمة من الشوائب والمبادئ الدخيلة علينا من أعداء الأمة، ومن أمثلة ذلك: أن الأم قد تتساهل في شراء ملابس أطفالها فتشتري لهم الملابس القصيرة، أو التي تحمل كلمات أجنبية قد تكون ضد الإسلام وتعاليمه، أو تلك الملابس التي بها الصور المحرمة أو شعار النصاري وهو الصليب، وكذلك أن تقيم الأم احتفالاً عند إكمال ولدها العام من تاريخ ولادته وهذا ما يسمى بعيد ميلاد الطفل، أو أن تطلب الأم من زوجها أن يلحق ولدهما في مدارس تُعلّم طلابها الموسيقى. ومن صور عدم مبالاة الأم في تربية أولادها حلاقة شعر ولدها بأشكال غريبة مؤسفة فيها تشبه بالكفار. فالواجب على المرأة المسلمة أن تحرص كل الحرص على تنشئة أولادها كما نشأ أولاد الصحابة رضوان الله عليهم؛ حيث تعلقت قلوبهم بالله، وعليها أن تحثهم على المحافظة على الصلوات في المساجد وقراءة القرآن الكريم وربط همهم بنصرة الإسلام وصرفهم عن توافه الأمور، لتسهم الأم المسلمة في إنشاء جيل يعيد للأمة مجدها المفقود، وعزتها المسلوقة.

ثانياً: ركوب المرأة مع السائق الأجنبي (غير المحرم) والخلوة معه، وقد

قال الرسول ﷺ: «لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم»^(١). أما إذا كان معه امرأتان فأكثر فلا بأس لأنه لا خلوة حيثئذ بشرط أن يكون مأموناً وألا يكون في سفر، كما أفتى بذلك فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - حفظه الله -.

ثالثاً: الاختلاط بالرجال الأجانب كأخي الزوج (الحمو) وزوج الأخت وابن العم ونحوهم، والتساهل بالمزاح معهم ورفع الصوت وعدم التستر عندهم، حيث تلبس بعض النساء برقعاً وتجالسهم وتتجمل أمامهم دون وازع من دين، أو رادع من حياء، وقد قال ﷺ: «إياكم والدخول على النساء» فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو يا رسول الله؟ قال: «الحمو الموت»^(٢). بل إن بعضهن لا تكتفي بذلك فتجدها تصافحهم وهذا حرام سواءً كان بحائل (كالعباءة ونحوها) أو من دون حائل، وقد قال ﷺ: «إني لا أصافح النساء»^(٣). وقال ﷺ: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»^(٤).

رابعاً: بعض النساء تُعَدُّ السائق كأنه ليس رجلاً، فتقوم بتغطية وجهها عن غير محارمها من الرجال، ولكنها تكشفه للسائق وتخرج معه متعطرة ولا تبالى بذلك، وتأخذ وتعطي معه في الحديث، وقد تركب بجانبه.

خامساً: الدخول إلى الأسواق باستمرار لغير حاجة مُلِحَّة؛ فتكثر الكلام مع الرجال كالبائعين والحياطين، وتكثر الضحك والمزاح مع رفيقاتها في

(١) رواه البخاري (١٨٦٢) ومسلم (١٣٤١).

(٢) رواه البخاري (٥٢٣٢) ومسلم (٢١٧٢).

(٣) رواه أحمد (٣٥٧/٦) والترمذي (١٦٤٥ - تحفة) وقال: «حسن صحيح»، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥١٣).

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٤٨٦/٢٠) عن معقل بن يسار وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٤٥).

الأسواق بشكل لافت للنظر، وتقضي أوقاتاً طويلة فيها من دون حاجة، وقد قال الرسول ﷺ: «المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها»^(١) الشيطان»^(٢).
وقد اتخذ بعض النساء الأسواق للتمشية والتسلية - والعياذ بالله -.

سادساً: اتجه بعض النساء للعلاج عند الأطباء الرجال بحجة الضرورة، وهذا حرام ما لم تكن ضرورة قصوى، مع أنه بالإمكان أن تُعالج عند طبيبات وفي المستشفى نفسه، وإن كان لا يوجد في المستشفى نفسه طبيبات، فإنها قد تكون من اللاتي ينفقن المئات بل الآلاف علي توافه الأمور ولا تحمي جسدها وعرضها بمالها من أن يتمتع به الأطباء أو ينظرون إليه، فتذهب إلى أي مستشفى أو مستوصف طبي فيه طبيبات فتُعالج عندهن، وإن احتاجت للدخول على طبيب فليكن معها محرم.

سابعاً: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله في الأوساط النسائية، وقد يكون السبب إما حياءً ممن حولهن أو خوفاً منهن؛ وخاصة إذا كانت هؤلاء النسوة أكبر منهن سناً أو مركزاً اجتماعياً، أو ترك ذلك بحجة أن: (دع الخلق للخالق) وهذا كله من تلبيس الشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١). ومن وسائل الدعوة إلى الله نشر الشريط والكتاب الإسلاميين، وإلقاء الكلمات الهادفة والمواعظ المؤثرة في المجالس النسائية.

(١) أي زينها للرجال.

(٢) رواه الترمذي (١١٧٣) وقال: «حديث حسن غريب»، ورواه ابن خزيمة في صحيحه (٩٣/٣) وزاد: «وأقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها». والحديث صحيحه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٩٠).

ثامناً: فعل بعض المحرمات التي تستحق من فعلتها اللعن من الله، قال ﷺ: «لعن الله الواشمات والمستوشمات^(١)، والنامصات والمتنمصات^(٢)، والمتفلجات للحسن^(٣)، المغيرات خلق الله^(٤)»^(٥)، وقال ﷺ: «لعن الله الواصلة والمستوصلة^(٦)»^(٧).

تاسعاً: أن يتسرب إلى قلب المرأة الغرور والكبر بسبب ظهورها بمظهر حسن أو للبسها ملابس غالية الثمن، أو لجمال وهبه الله لها أو لغير ذلك. وهذا منكر خطير يؤدي بصاحبه إلى الهلاك، قال الرسول ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»^(٨). ومن صور الغرور والكبر: عدم إفشاء السلام بين النساء.

عاشراً: مخالفة سنة من سنن الفطرة وهي تقليم الأظافر؛ فتجد إحداهن تطيل أظافرها، ثم تضع عليها صيغ يعرف باسم (المانكير) وهذا الصيغ يمنع وصول الماء إلى الأظافر، ثم تأتي من وضعته لتتوضأ ثم تُصلي فتبطل صلاتها؛ لأن وضوءها غير صحيح؛ حيث إن الماء لم يصل إلى الأظافر، فإن كان لا بد من وضعه فيجب أن تزيله قبل الوضوء.

(١) الوشم: غرز الوجه أو الكف بإبرة حتى يخرج الدم ثم وضع كحل عليه حتى يخضر.

(٢) النمص: إزالة شعر الحاجبين أو تخفيفه.

(٣) التفليج: عمل فرجة بين الأسنان لغرض التجميل.

(٤) ذكر الشيخ: عبدالله بن جبرين - حفظه الله - في شريط (فتاوى عن المرأة) أن لبس العدسات الملونة يدخل في تغيير خلق الله، كما أن لها أضراراً صحية على العين، وفي شرائها إهدار للمال، لذلك فهي محرمة.

(٥) رواه البخاري (٥٩٣١) ومسلم (٢١٢٥).

(٦) الوصل: وصل الشعر بشعر آخر مستعار مثل الباروكة، وهي محرمة سواء بإذن الزوج أو من غير إذنه كما أفتى بذلك الشيخ محمد بن عثيمين حفظه الله.

(٧) رواه البخاري (٥٩٣٤) ومسلم (٢١٢٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٨) رواه مسلم: (٩١).

حادى عشر: لبس القصير والرقيق والضيق من الثياب للنساء: كان مما غزانا به أعداؤنا في هذا الزمان هذه الأزياء والموضات التي وضعوا أشكالها وتفصيلها، وراجت بين المسلمين، وهي لا تستر العورة لقصرها أو شفافيتها أو ضيقها، وكثير منها لا يجوز لبسه حتى بين النساء وأمام المحارم، وقد أخبرنا النبي، ﷺ، عن ظهور هذه الأنواع من الألبسة على نساء آخر الزمان كما جاء في حديث أبي هريرة، رضي الله عنه مرفوعاً: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»^(١).

ومن أمثلة هذا ما يعرف في عصرنا بالباروكة. ومن الواصلات في عصرنا: «الكوافيرات» وما تزخر به صالاتهن من المنكرات.

ومن أمثلة هذا المحرم أيضاً: لبس الشعر المستعار، كما يفعله بعض من لا خلاق لهم من الممثلين والممثلات في التمثيليات والمسرحيات.

اللهم جنبنا الشيطان ونزغاته، وأعدنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم من أراد نساء المسلمين بسوء فأشغله بنفسه واجعل تدبيره تدميراً عليه، اللهم أقرّ أعيننا بصلاح نساءنا وبناتنا، واجعلن من العابدات التقيات النقيات واجمعنا وإياهم في جنات عدن. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
رسالة لإمام المسجد	٥
الدرس الأول: إلى من أدرك رمضان	١١
أصل الخلق وسبب الوجود، نعم الله عز وجل، الإخلاص، ذكر الله في كل حين، قراءة القرآن، الدعوة إلى الله، حفظ اللسان، مناصحة المقصرين.	
الدرس الثاني: كيف نعيش رمضان؟	١٧
خصائص شهر رمضان، من الأعمال التي تتأكد في رمضان: (الصوم، القيام، الصدقة، إطعام الطعام، تفطير الصائمين، الاجتهاد في قراءة القرآن، الجلوس في المسجد حتى تطلع الشمس، الاعتكاف، العمرة).	
الدرس الثالث: أحكام الصيام وتنبيهات عامة للصائمين	٢٥
مفطرات الصوم الثمانية، تنبيهات على أخطاء أو نقائص تقع من بعض الصائمين.	
الدرس الرابع: لا إله إلا الله	٢٩
معناها، شروطها: (العلم، اليقين، القبول، الانقياد المنافي للترك، الصدق، الإخلاص، المحبة).	
الدرس الخامس: الصلاة	٣٧
منزلة الصلاة، فضل أدائها في وقتها، التحذير من التهاون والتكاسل في أدائها، وجوب صلاة الجماعة، فتوى لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله -	